

قصص جوارح القطار والسفر

محمود حوضي ليدر ابراهيم بندي



محمد عوض البراهيم بك

قصص الأقطار وكشفها



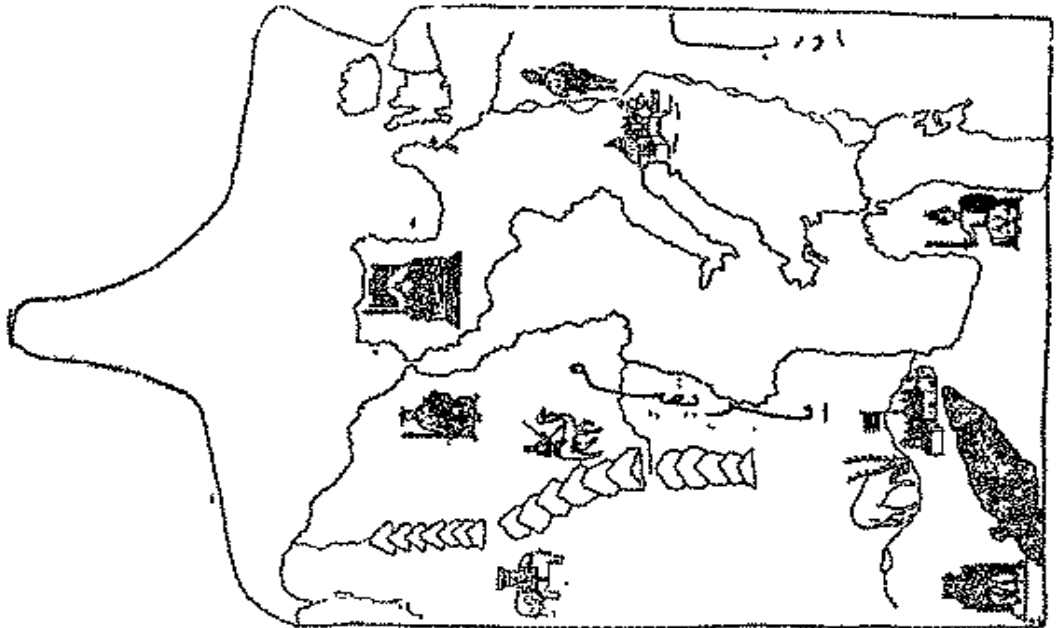
ماتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الفصل الأول

الدنيا القديمة

عندما نتأمل في خريطة للدنيا القديمة (شكل ١) تدهشنا غرابة عدم دقتها . ذلك لأنه مثلا بدلا من اظهار تفاصيل التضاريس الطبيعية للحبشة نجد صورة لپرسترجون (Prester John) ذلك الملك الخرافي المسيحي لهذا الأقليم من افريقية ، كما أن الخريطة الحقيقية التي اقتضب منها هذا التخطيط تحوى أسماء كثيرة حول شواطئ الاقليم الميينة في حين أن هذه



(شكل ١)

الأسماء تندرج في سائر الجهات الأخرى وذلك لأنها خريطة بحرية من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المعلومات التي جاءت بها قليلة . وقد تطورت سائر

الخرائط فيما بعد فأصبحت معلوماتها أكثر ضبطاً لأنها تزودت بما كسبه الناس من معارف جديدة . وقد أصبحنا الآن وليست هناك أقاليم لا تعرف تضاريسها العامة على الأقل . ومع أنه ينقصنا الكثير من التفاصيل عنها ، فإن أكثر المسائل الخاصة برسم العالم قد تحلت وانفق عليها .

وإنه لمن المستحيل أن نقول متى أخذ الإنسان يعرف شيئاً عن أجزاء الدنيا التي لا تجاوره غير أنه ما من شك في أن العبرانيين القدماء اهتموا بهذه الأمور وكانت لهم آراء عن شكل الأرض وما شابهها من هذه المسائل . ولقد تصوروا الأرض جسماً مستويًا ومركزاً للكون . وكانوا يظنون أن المحيط مجرى من الماء يسيل حول الدنيا . ويجب أن نذكر أنه في تلك الأيام عندما كانت كل أمة تقوم بحاجاتها كانت التجارة قليلة ، وقل لذلك السفر الذي كان يساعدهم على تعديل آرائهم التي تظهر الآن لنا غريبة .

الظلماتيون والمصريون : ويخيل إلينا أن موطن الأمم التجارية الأولى كان في الأرض الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط والجنوب الغربي من آسيا . وكان الاقليم الخصب بين نهري دجلة والفرات مقر السكديانيين ، كما أن أمة أخرى عظيمة هي الأمة المصرية كانت تقطن دلتا النيل . وكانت تفصل هاتين الأمتين صحراء عظيمة منعهما من الاتصال ببعضهما ببعض ، على أنه على كثر الزمن اتصل هذان القطران كما يستدل على ذلك من التوراة إذ يذكر هذا الكتاب رحلة سيدنا إبراهيم

وأسرتة من بلاد الكلدانيين إلى مصر وعودته مع جماعة عظيمة إلى كدمان وكذلك قصة سيدنا يوسف مع إخوته وإلقائه في غيابة الحب والتقاطه ببعض السيارة الذين كانوا يحملون التوابل والأفاويه إلى مصر.

الفينيقيون : وفضلا عن البحارة المصريين الذين كانوا يسرون

بسفنهم في نهر النيل فإن بعض الملاحين القدماء كانوا يرتادون البحر الأبيض المتوسط بين جزائر بحر إيجه . وجاء بعد هؤلاء ملاحو صور وصيدا ، وكانوا يعرفون بالفينيقيين وغصت بهم البحار . وكان يقطن هؤلاء على سواحل سوريا . وفي شرق هذا الاقليم وقعت صحراء مرتفعة عقبه كثودا في سبيل المواصلات إلا بواسطة طرق تجارية محدودة . على أن البحر كان في غرب هذه المنطقة وعليه اعتمد الفينيقيون في إظهار كفاءتهم وقدرتهم على اقتحام الأخطار . وقد احتكروا تجارة البحر الأبيض المتوسط زمنا ما وزادوا غناء من بيع الصبغة البنفسجية التي احتكرت انتاجها مملكتهم . ولقد سارت سفنهم من ثغرى المملكة العظيمين (صور وصيدا) شمالا إلى البحر الأسود وآسيا الصغرى ، وغربا إلى شواطئ بلاد اليونان وإيطاليا وبلاد الغال (فرنسا) وشمال افريقية ، وشرقا إلى خليج الفرس وجنوبا إلى زنجبار . ولا يخامرنا إلا بعض الشك في أن هؤلاء القوم وصلوا إلى كرنول Cornwall بأجلترة وجزائر سلى حيث أبحروا في القصد غير أنهم لم يحاولوا إقامة دعائم امبراطورية بيد أنهم استقروا في بعض الجهات وكونوا ولايات مستقلة وأهم هذه

قرطاجنة التي أسست في سنة ٧٧٠ قبل الميلاد على الشاطئ الشمالي من أفريقية بالقرب من مدينة تونس الحديثة ومن هذه المدينة قاموا بعدة سفرات على شواطئ أفريقية متجهين نحو الغرب قاصدين «عمودي هرقل» وهما صخر تاجيل طارق وسبته العظيمتان في المدخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط

اليونانيون : أما اليونانيون الذين كانوا يقطنون شرقي بحرايجه وغربيه فاهتموا بالمسائل الخاصة بشكل الأرض وتضاريفها الطبيعية في الجملة . ولم يجوبوا أقطاراً بعيدة مثل الفينيقيين بيد أنهم أسسوا مستعمرات في كثير من الأقاليم الغربية . فكانت لهم مستعمرات على شواطئ آسيا الصغرى والبحر الأسود وعلى الشواطئ الشمالية لبحر إيجه . كما كانت لهم مستعمرات على صقلية . وفي شواطئ إيطاليا . وأسسوا مرسيليا بالقرب من مصب نهر الرّون Rhone وكانت كل هذه المستعمرات مستقلة ولو أنها كانت مرتبطة بعضها ببعض بوحدة الدين واللغة والابتنراك في الحفلات الرياضية العظيمة التي كانت تقام في أولمبيا (الألعاب الأولمبية) وكانت هذه المستعمرات مراكز للتجارة ومنها سافر التجار للبحث عن السلع التجارية . وإحدى هذه الرحلات كانت مهمة إذ نشأ عنها اكتشاف الجزائر البريطانية . ذلك أنه في القرن الرابع قبل الميلاد أرسل يونانيو مرسيليا علماً بالرياضيات مشهوراً يدعى بيثيس Pytheus لارتياح البحار غربي عمودي هرقل رغبة في اكتشاف أرض جديدة يمكن الاتجار معها فسار في المحيط متجها صوب الشمال حذاء الشاطئ حتى خليج بسكاي ومن هناك سافر إلى بريطانيا حيث رست سفينته على شاطئ كنت Kent وخص جزءاً عظيماً من الشاطئ غير أنه

بالغ في تقدير طولها ؛ ومن ثم سافر حتى مصب نهر الراين واستقر شمالاً حتى بلغ أرضاً سماها ثول (Thule) وقد وصفها بأنها أقصى بلاد الدنيا شمالاً ولكنه لم يعدد بالضبط موقعها ، ومنها عاد إلى مرسيليا محترقاً فرساً .
ونقد أسس علماء اليونان في هذه الأيام دعامة آرائهم على آراء الفينيقيين وأنا لنجد أقدم وصف لشكل الأرض في أدب اللغة اليونانية في قصائد هوميروس (Homer) حيث ذكر فيها أن الأرض مستوية مستديرة يجرى حولها النهر العظيم المسمى أقيانوس وهذا يطابق آراء العبرانيين ؛
وفي الأيام التي تلت تلك سافر كثير من السائحين اليونانيين مثل هرودوت (Herodotus) ولم يكن هذا سائحاً عظيماً فحسب بل مؤرخاً أيضاً ؛ وكتب عما رآه في مصر وهو الذي قال عنها إنها « هبة النيل » وزار أيضاً بلاد العرب وبلاد الفرس والشاطيء الشمالي الغربي للهند .

وغزا الاسكندر المقدوني كل آسيا الصغرى وبعض أجزاء أخرى من آسيا وافريقية وسار بجنوده . إلى الشمال الغربي من الهند سنة ٣٢٧ ق . م ، فانتعشت التجارة واتبعت طريق فتوحاته . ولم يهتم رجال مثل الاسكندر بتخطيط الأقاليم التي فتحها ، ولكن في القرن الثالث قبل الميلاد ظهر علماء كثيرون اهتموا بالبحث الجغرافي : فيروي أنه في سنة ٢٤٠ ق . م أكد عالم يوناني بأن الأرض كرية الشكل واخترع بالفعل طريقة لقياس محيطها ، ولم تكن النتيجة التي وصل إليها بعيدة عن الحقيقة . غير أن الخريطة التي رسمها كان بالطبع بها الكثير من الخطأ الغريب . فمثلاً

رسم بحر قزوين كأنه متصل بالمحيط المتجمد الشمالى . ورسم سلسلة جبال عظيمة ممتدة بوسط آسيا من الغرب إلى الشرق .

الرومان : وعندما شيد الرومان امبراطوريتهم العظيمة حول البحر الأبيض المتوسط أضافوا معلومات كثيرة أخرى عن الدنيا . ولم يكن من بينهم الكاشفون الرومانيون ولكن التجارة أينعت في أيامهم : فلقد جاءوا بالبضائع الكثيرة من بريطانيا وأسبانيا في أقصى الحدود الغربية لامبراطوريتهم كما أنهم أحضروا من الهند وآسيا الصغرى في الشرق السلع التي نعم بها الرومانيون الأثرياء . وكان من جراء هذا التبادل التجارى بين أقاليم منفصلة بعضها عن بعض بمسافات شاسعة أن اتسع أفق المعلومات الجغرافية . ذلك إلى أن الكثير من القواد الرومانيين قد عنوا عناية عظيمة بما وقع تحت أبصارهم : فيوليوس قيصر الذى جاب أقاليم فرنسا وأسبانيا وألمانيا وبريطانيا كتب كتبا كثيرة عن مشاهداته ، ولم يصف بها أعمال جنوده فحسب بل وصف التضاريس الطبيعية للأقاليم التى غزاها . ومن الأمثلة الحسنة لهذا الوصف شرحه لشكل الجزائر البريطانية ومناخها وغلاتها وسكانها .

واشتهر في القرنين الأول والثانى قبل الميلاد كثير من الباحثين الجغرافيين الرومانيين والروم ومن هؤلاء بطليموس الذى كان يعتقد بكرة الأرض ورسم خريطة للدنيا ظلت مستعملة عدة قرون على ما بها من الكثير من الاخطاء إذ أن المادة جرت في هذه الأيام برسم الأرض التى

لم تكشف بعد على سبيل الظن والحدس؛ فمثلا رسم بطليموس المحيط الهندي
بمحا عظيمها داخليا ورسم جنوبيه قارة عظيمة تمتد من الجنوب الشرق
للصين حتى شاطئ أفريقيا ، وهذه القارة وكذلك وسط أفريقية مبيئة
كانها أقاليم صحراوية غير مأهولة لشدة حرارتها .

وقصارى القول أن المعلومات الجغرافية (عندما أخذت الدولة الرومانية
فى الانهيار أى فى آخر القرن الرابع) عن الأقطار التى تحف الأبيض المتوسط
كانت معروفة تمام المعرفة وخططت تخطيطا بقرب من الحقيقة على الخرائط
وظهرت الدنيا المعلومة محددة شمالا بغابات وسط أوروبا وجنوبا بصحارى
شمال أفريقية وغربا بالمحيط الأطلسى وشرقا بهضاب وسط آسيا . هذا
فضلا عن أنه قد عرف الكثير عن الشاطئ الشرقى لآسيا حتى الهند الصينية
وشاطئ أفريقيا الشرقى حتى زنجبار . ويحتمل أنه كان هناك بعض الأمام
بخليج غانه . أما القارة الأمريكية واستراليا والجزء الشمالى الشرقى من آسيا
وكذلك شمال أوروبا وجنوب أفريقيا فلم يعلم عنها شئ . والأقاليم التى
كانت معروفة كانت المعلومات عنها كثيرة الخطأ . ولذلك اتجه الكشف
فيا بعد جهتين أولاها اضافة كثير من التفاصيل إلى الخرائط التى وضعت
سواء من جهة اصلاحها أو من جهة زيادتها . وثانيتهما كشف الكثير
عن الأقطار التى لم يعلم عنها شئ بعد .

الفصل الثاني

العصور المظلمة والفيكنج (Vikings)
[سكان الشمال]

أغار على الدولة الرومانية في أثناء القرن الخامس بعد الميلاد جماعات من قبائل كثيرة أغلبها نزحت من وسط أوروبا أو الأقاليم التي تحف بالبحر الأسود . وليس هنا مجال بحث بحركات هذه القبائل بالتفصيل ، ولا كيف سارت قبائل الوند (Vandals) والقوط (Goths) والفرانك (Frank) والهون (Huns) من أقليم إلى آخر . غير أن هؤلاء البرابرة قد استقروا وكونوا ممالك جديدة في غرب أوروبا . وكان لرحلاتهم إلى غرب أوروبا أثر كبير .

ويجب الا نظن أن هؤلاء كانوا برابرة بمعنى الكلمة لأن الكثير منهم كانوا على جانب عظيم من الذكاء بل والثقافة أيضاً . ولقد طاب لهم المقام في بعض جهات الامبراطورية الرومانية ، واستقرت حالتهم فتمدينوا . وذلك مثل القوط . على أنه بالرغم من ذلك فإن غارات هؤلاء القوم الجدد عرقل تقدم الأدب والفن وما إليهما . فأخذ الأدب والفن ينكشان عما كانا في عصر الدولة الرومانية ، فقل تشييد القصور الرائعة واقتصرت مبانهم على دور أقل رغدة من تلك التي شيدت في عهد الرومان واليونان .

ولقد وصف العلماء فيما بعد هذا العصر الذي امتد من سنة ٦٠٠ ب م و ١٢٠٠ ب م إنه كان عهد الظلام ؛ على أنه ليس صحيحاً أن هذه الفترة

لم تكن فترة تقدم في العلوم فإن رجالا مثل ألفرد العظيم وشارلي العظيم، أتبعنا لنا أن إنه كان بها عباقرة على جانب عظيم من المعرفة في هذا العصر غير أننا إذا وازنا بين هذه المعرفة ومن سبقها مما كانت قائمة في العصور القديمة تظهر لنا قلة تقدمها مما يجعله قينا بأن يسمى عهد العصور المظلمة .

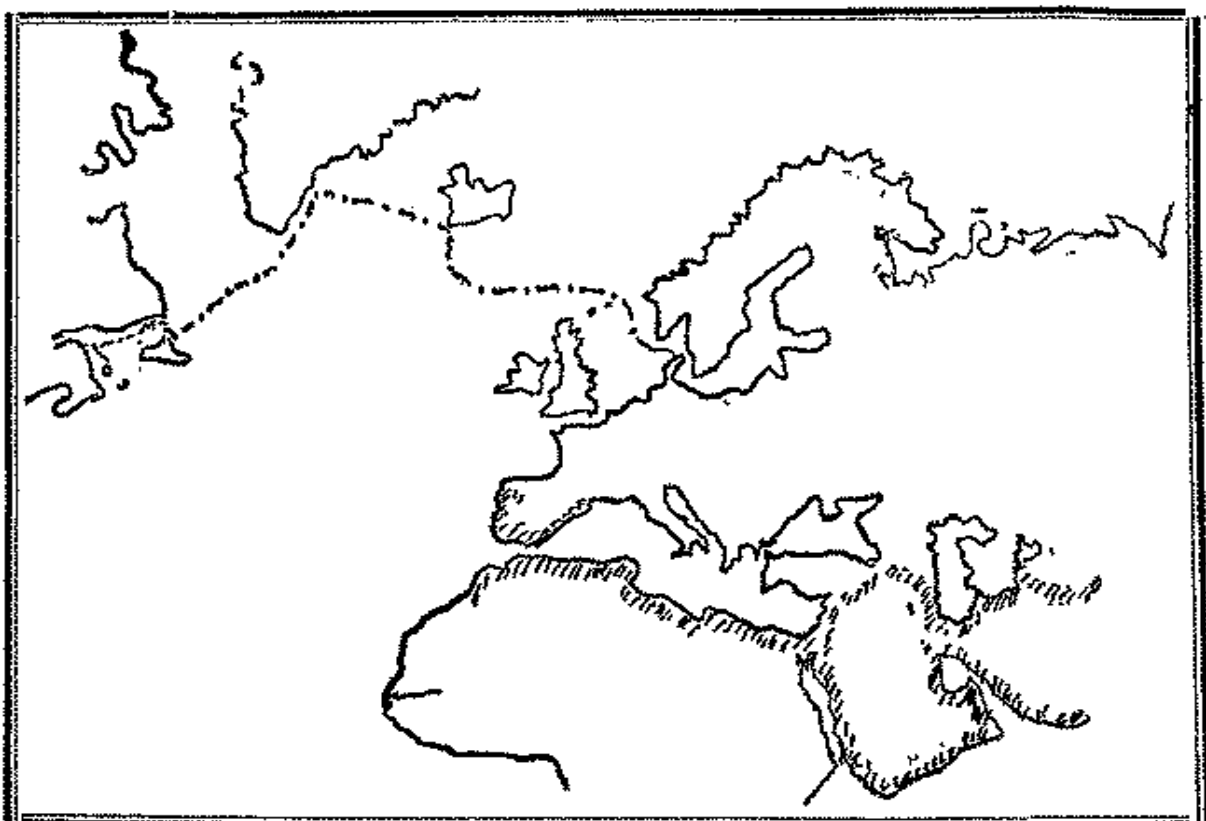
ويستدل على ضعف التقدم في هذا العصر استبدلالا واضحا من تقصير القوم في زيادة معارفهم عن العالم (فيا عدا اقليمهم) نعم لقد كثرت الرحلات في أوروبا . ولكن إنتشار الدين الإسلامي في القرن السابع عشر كان من شأنه قطع علاقات أوروبا تقريبا بالشرق والجنوب فلقد شن المسلمون الحرب على المسيحيين وعبرا مضيق جبل طارق واستولوا على أسبانيا . ولم يصددهم عن غزو أوروبا الا قبائل الفرنك . وبذلك أصبحت الأقاليم جنوبى البحر الأبيض المتوسط وشرقيه تحت سيطرة المسلمين الذين وقفوا سدا منيعا أمام تجول الاوربيين المسيحيين في هذا البقاع .

ولما كان المسلمون يميلون إلى عدم ركوب الأخطار لكشف أراض جديدة والمجازفة بركوب بحار يجهلونهم فقد وقف تقدم الكشف الجغرافى في هذا الجزء من أوروبا . غير أنه كانت هناك بعض أجزاء من هذه القارة لم تؤثر فيها الفتوحات الإسلامية :

الترسم : ففي شمال أوروبا في اسكندناوة ودينماركه عاش النرسمن

(Norsemen) أو سكان الشمال حول فجوات الشواطى أو الفيوردات (Fiords) . ووقفت جبال بلادهم وطبيعة أرضهم سدا منيعا في طريق نزوحهم من

الشاطيء إلى الداخل . فاعتمدوا في معيشتهم على خيرات السواحل . ولما لم يكن بأرضهم متسع لإقامتهم جميعا إقامة ينعمون بها بحياة مريحة . فلذلك عمدوا عند ما أنسوا من أنفسهم القوة إلى التغلب على الأقاليم المجاورة وقام المستقل منهم مثل الفيكنج بغزو هذه الاقاليم . ولقد كانوا ملاحين مهرة جريئين متعودين شطف العيش بوسائل لا يخشون شيئا . فسارت سفنهم حول شواطئ أوروبا وفي المحيط الأطلنطي وغزوا شواطئ بريطانيا وإيرلنده والمانيا وفرنسا . وساروا في الأنهار وكان جل همهم أول الأمر النهب والسلب ولكنهم سرعان ما استقر لهم المقام في الأراضي التي



(شكل ٢ رحلات الترسن البلاد الإسلامية)

وصلوا إليها : فاستوطنوا نرمنديا التي سميت باسمهم وأنجلترا وإيرلنده . ويقال أن شرذمة منهم سافرت في نهر عقليم في قلب أوربا وأسست المملكة الروسية .

ولم تكن أولى رحلاتهم بعيدة عن شواطئ أوربا . ولكنهم فيما بعد ازدادوا جرأة فاقبلوا في المحيط الأطلسي الشمالي على الرغم من الأعاصير التي كانت تهب على هذا البحر والتي كان يخشى بأسها بالرغم من عدم وجود الخرائط البحرية أو غيرها التي كانت ترشدكم في رحلاتهم . ولقد نقل إلينا بعض القصص عن رحلات قام بها غيرهم ولكن لم يعرف عنها إلا القليل ولذلك يصح أن يقال أن النرمن كان لهم أول الفضل في ذلك . نعم قد سافر بعض رهبان إيرلنده إلى جزائر فارو (Faros) وإيسلندا وما إليهما ولكن لما كان جل همهم الإقامة في أقاليم ينعمون فيها بالعزلة التي كانوا يرغبون فيها أشد الرغبة فلم يزدوا برحلاتهم هذه إلا النذر اليسير على المعلومات الجغرافية . ولما كانت هذه الجزائر كثيرة ومتشعبة (جزائر أركنى وشتلند وفارو وإيسلند) فكان هؤلاء الجوالون ينتقلون ميثدين خطوة فخطوة من جزيرة إلى أخرى .

وكانت أيسلند مقر هؤلاء المخاطرين ، ومنهارحل إريك (Eric) الأحمر سنة ٩٨٥ غربا وسرعان ما عاد وأخبر مواطنيه أنه كشف أرضا جديدة بها الكثير من الكلاب الأخضر قد تصلح موطنًا لثقلمن يرغب الإقامة بها . ولقد سمى إريك هذه الأرض جرينلند (Greenland) أو الأرض الخضراء . ومن البدهى أنه لم يكن يعرف شيئا عن طبيعة الأرض الداخلية

لهذه الجزيرة العظيمة وإلا لمدل عن رأيه من حيث صلاحيتها للاقامة على أن الكثير من مواطنيهم قد أشاقهم وصفه فأقلع عدد عظيم منهم نساء ورجال إليها وفي سنة (٩٨٦) استقروا بها وأسسوا فيها أول مستعمرة أوربية .

وفي سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد أبحر ليف (Leif) بن إريك صوب الجنوب إلى أرض رآها بعض هؤلاء الجوالاة قبل ذلك . وأول إقليم وصلوا إليه كان أرضا جرداء لاتقرى الناس بسكناها ، وهذه كانت بلاشك لبرادور (Labrador) فأبحروا جنوبا ورأوا أرضا تغطيها الأشجار الكثيفة وخطوا رحالهم في جزيرة نيوفونلند (Newfoundland) ولقد سرهم مناخ هذه الأرض المعتدل ، ولكنهم كانت دهشتهم عظيمة عند ما عبروا المضيق الذي يفصل هذه الجزيرة عن الأرض لأنهم وجدوا هذه عظيمة الخصب وبها أنهار وبحيرات مفعمة بالسماك المسمى حوت سليمان (Solmon) وأشجار الزبيب الكثيرة ولذلك سموها هذه الأرض أرض الكرم (Vinland) . ويخيل إلينا أن هذه جزيرة نوفاسكوتشيا (Nova Scotia) . ولقد استقروا في القارة الامريكية حوالي خمسمائة سنة قبل أن يقوم كلبس بأول سفرة من سفراته ثم قامت جملة حملات من جرينلند إلى فينلند بقصد استعمارها ولسكنها لاقت مصاعب جمة عاقبتها عن الوصول إلى أغراضها ذلك لأن قبائل الهنود الحمر والاسكيموا قاوموهم ، وتخاصم الزرمن فيما بينهم ودبت فيهم روح البغضاء والتنافر ، هذا إلى أنه في أوائل القرن الخامس عشر انقرضت ذرية المستعمرين من جرينلند لأن الجو كان قاسيا ناءت به صحتهم وغلبهم.

الاسكيموا على أمرهم ، و بذلك خيم الظلام مرة ثانية على القارة الامريكية .
ولم تنقش هذه الغمة إلا بعد مائة سنة عند ما زارها كلبس وأتباعه .

ويجب ألا يغرب على البال أن الفيكنج لم يكونوا مجرد ملاحين
يحبون البحار ولا غرض لهم سوى السلب والنهب لانهم كثيرا ما أبدوا
رغبتهم في الاتجار مع أهل البلاد التي اتصلوا بها ؛ ويدلك على ذلك قصة
أهثير (Ohthere) الضابط الفيكنجى الشهير الذى زار انجلترا وأكرم وفادته
الملك ألفرد وأهم بشأن أعماله وساعد على ارساله فى حملة حول رأس
الشمال والبحر الأبيض سنة (٨٩٢) ؛ وكان من نتيجة هذه الحملة أن قامت
التجارة مع أركنجل .

وفى المصور الأولى لعهد استعمار أراضى غرب أوربا عمل الفيكنج
بطريقة غير مباشرة على تنشيط الكشف إذ كان لهم أثر عظيم فى بث
روح النشاط فى سكانها ؛ فالانجليز مثلا كانوا بلا شك أول من اتصل
بالفيكنج فى القرنين التاسع والعاشر ، ولذلك نراهم قد صاروا أكثر شجاعة
وصلابة وميلا إلى خوض غمار الطرق التجارية والكشف أكثر
من ذى قبل .

الفصل الثالث

الجوابون المسلمون — الرهبان المسيحيون — مار كوبولو

المسلمون : كان للثقافة الإسلامية التي أشرنا إليها من قبل أثرها في الكشف الجغرافي . ولم يكن للامبراطورية الإسلامية مركز واحد يراقب زيادة انتشارها نحو الشمال والشرق والغرب : ففي مدة حكم الوليد سنة ٧٠٥ م ، والسنون التالية كانت جيوش المسلمين مشتغلة بالغزو شرقا حتى نهر السند وارتادت أساطيلها البحر الأبيض المتوسط حتى سردانيا وصقلية ، ولكنهم لما كانوا ينشرون ديانتهم بين أمم أخرى فانضمت لهم ممالك أخرى غير عربية كما يدل على ذلك قيام الدولة العباسية في بلاد



(شكل ٣ مار كوبولو بآسيا)

الفرس . وفي منتصف القرن الثامن كانت السلطة كلها بيد المسلمين لا العرب . ويمكن الاستدلال على ذلك من أن ستة من السبعة عشر رجلاً الذين اشتغلوا بعلم تقويم البلدان المشهورين ما بين القرنين التاسع والثالث عشر كانوا من أهل الفرس وأربعة من بغداد وأربعة من الأندلس . وكان اتساع الفتوح العربي سبباً في دراسة تقويم البلدان . وكان الكثير من هؤلاء ، تجار يجوبون الأقطار لدراسة أحوالها ومعرفة سهلها ووعرها وجبالها وأوديتها وطرقها البرية والبحرية وما تنتجها أرضها من أنواع الغلات حتى يجبي الخراج بنسبة ذلك ونظموا البريد وقاسوا الأبعاد بين البلاد . ومن أولئك الجوايين الذين ساحوا في القرن العاشر الميلادي ابن خرداذبة سنة ٩١٤ واليعقوبي وقدامه سنة ٩٢٢ والبلخي سنة ٩٣٤ وابن حوقل سنة ٩٨٠ وقد كتبوا فيما شاهدوه من أحوال البلاد التي زادوها كتباً قيمة . ويجب ألا ننسى مناصرة هارون الرشيد للبحث الفلكي والجغرافي فأمر بترجمة كتابي مرنس *Marinus* وبطليموس وغيرها وفي أيامه قيس محيط الكرة الأرضية والدرجة الأرضية وطول البحر الأبيض المتوسط وكان الخطأ في التقدير عما نعرفه الآن قليلاً . أما الخرائط لم تتقدم تقدم الوصف الكتابي . واتقن « الاسطرلاب ^(١) » واستعمل في قياس الارتفاعات الفلكية وخطوط الطول والزمن وارتفاع الجبال . . . الخ ومنه اخترع الاسطرلاب البحري الذي استعمله بحارة كلبيس في القرن الخامس عشر .

(١) الاسطرلاب خريطة سطحية لدوائر البروج

على أن المسلمين بوجه عام لم يكن لهم أثر عظيم في الكشف البحري ذلك لأن العرب كانوا يعتقدون أن الدنيا أرض شاسعة الأطراف مركزها بغداد وبحيط بها بحر الظلمات ، وقل من مال منهم إلى المخاطرة بسفنهم في البحر بعيداً عن الشاطئ إذ كانوا يصورون لأنفسهم مخاطر تنزل بهم إذا ما حاولوا ذلك . ففي سنة ١٣٩٠ قال أحدهم « ان المحيط الأطلسي لا حدود له ولا تستطيع اية سفينة أن تبهر فيه بعيدة من مرمى النظر من الأرض ، لأنه حتى على فرض أن الملاحين كانوا على علم باتجاه الرياح فلم يكونوا واثقين من الجهة التي تجر هذه الرياح الفلك إليها . ولما كانت لا توجد أرض مسكونة بعد هذا المحيط فانهم قد يضلون ويهلكون في ديجور من الضباب والبخار . وهذا المحيط هو الحدود الغربية للعالم .

ومع ذلك فقد عرف المسلمون الكثير عن بعض أجزاء الدنيا لأنهم جالوا كثيراً في ربوع آسيا وفي شرق افريقية . ويستدل على ذلك من قصص ألف ليلة وليلة وبخاصة أسفار السندباد البحري . وليس من المحتمل أن شخصاً يحمل هذا الأسم عاش ولو أنه عاش لاستحال عليه ركوب المخاطر التي تقصها علينا رحلاته . ولكن مما لا شك فيه أن الجهات التي ذكرت في قصصه مثل الهند وسيلان وسومطره (جزيرة القردة) كانت معلومة لدى العرب : وهذا ظاهر من الوصف الدقيق الذي انبأ نابه عن غلات هذه البلاد وسكانها وحيواناتها ومن المحتمل أن القصة مجموعة قصص لجوالين كثيرين جمعت بعضها إلى بعض وأضيف إليها الكثير من نسج الخيال .

ويشتهر هذا العصر فضلا عن سياحات بحارة مثل السندباد وغيره حول شواطئ آسيا الجنوبية، بجولات قام بها الرحل بين جنوب أوربا وشرق آسيا ووسطها. وقبل الكلام عن هذه الرحلات نذكر طرقا عن المغول والتتر. ومنغولوا هضبه في شمال شرق آسيا، وفي أوائل القرن الثالث عشر انتشر أهلها انتشار الجراد في السهول الشمالية وغزوا روسيا والمجر. ولقد طاب لهم المقام واستقروا ونصبوا خيامهم (المصنوعة من الوبر والصوف) في بعض الجهات التي من أشهرها ضفاف نهر القلجا. وأرسل البابا في هذه الأيام الرهبان ليحاولوا تنصير هؤلاء القوم. وأشهر من قام بهذه المهمة الخطيرة كان راهبا يدعى «جون» فوصل إلى المعسكر على نهر الفلحا وقابله رئيس التتر الذي كان يدعى «خان» فأخطره هذا أن عليه أن يستمر في رحلته حتى يصل إلى مقر الخان العظيم في منغوليا.

ولم ينل هؤلاء الرجال أى تشجيع من هذا العاهل العظيم واضطروا للعودة أدراجهم آلاف الأميال في بلاد يجهلون بها كانت تفصل بينهم وبين موطنهم؛ على أنهم لم يهتموا ملاحظة عادة التتر الرعوية وعادوا كعبيهم في الصناعة، وبأسهم في القتال.

الرهبان: وفي عهد لويس الحادى عشر ملك فرنسا الذى اشتهر بجهاسته في الحروب الصليبية، سافر راهب يدعى ربريكي (Rubyquis) إلى بلاط الخان العظيم مزوداً برسائل من الملك يدعو الخان فيها إلى الاعتراف بالبابا واعتناق النصرانية. ولقد وصل هذا الراهب وزملاءه إلى نهر الفلجا بمد تجشم الكثير من المصاعب والأخطار واضطروا لمقابلة

سكان هذا الأليم وتقدموا اليه لابسين الملابس الكهنوتية حاملين «التوراه»
والزمامير . فأخذ الختان منهم هذه الكتب وسمح لهم في الاستمرار في الرحلة ،
فقطموا أمثالا كثيرة وصلوا الى مقر الختان بعدها في بلد واقع في شمال صحراء
جنوبي العظيمة ، غير انهم فشلوا في مساعدهم لتنصير هذا العاهل ورجعوا سنة
١٢٥٥ بعد أن صرفوا ما يقرب من ثلاث سفوات في جولاتهم الأسيوية .
واقدموا تكشفت رحلات هؤلاء الرهبان في اسيا عن نتائج غريبة ،
ذلك انهم وجدوا أن المسيحية كانت منتشرة هناك على وجه ما وانهم سمعوا أن
مملكة مسيحية قائمة في الجنوب الغربي من هذه القارة يحكمها ملك يدعى
پرستر جون Prestor John واقدم حاول المسيحيون أن يعيطوا اللثام عن هذا
الشخص الغامض ، وسنذكر في فصل يأتي بعد محاولاتهم للبحث عنه .
وبينا كان النساك والرهبان يتعشمون العناء لادخال المسيحية وسلطة
البابا باسيا كانت تقوم جماعة أخرى من السياح ببذل جهودهم لنشر التجارة
الأوربية هناك . وكانت مدينة البندقية هي الجلية في هذا الشأن ، وذلك
لأن مركزها جعلها ميناء عظيمة إذ أنها في النهاية الشمالية لبحر الأدرياتى وفي
منتصف المسافة بين شرقي البحر الأبيض المتوسط وغريبه ، وعلى مقربة
من ممر يمتدق جبال الالب ، ويصلها بوادي الراين والدانوب ، وهذا مما
جعل تجارها أكثر سائر تجار مدن أوربا ثراء ، لانهم كانوا يقايضون
بسلع أوربا بضائع الشرق الثمينة ، وسارت سفنهم الى جميع نفوذ أوربا كما
سمعنا بذلك من مسرتحية تاجر البندقية لشكبير . هذا فضلا عن أن كثيرا
من البنادقة جاسوا خلال الأرض الداخلة الى مسافات شاسعة وبلاد بعيدة .

ماركو بولو : وكان أشهر رحلات البساطة ماركو بولو : ففي
وسط القرن الثالث عشر (سنة ١٢٦٠ م) سافر أبوه وعمه إلى جنوب روسيا
وبعد أن تجولا في الجهة الشمالية الشرقية أغريا على السفر إلى بلاط قبلاى
خان في قلب الصين . وقد أرسل هذا معها رسالة إلى البابا يسأله فيها أن
يمده برجال لتعليم التتر العقائد المسيحية ولكنهما عندما وصلا وجدا
البابا قد مات ، واضطرا للانتظار حتى يختار بابا آخر . وبعد وقت طويل
عاد أدراجهما إلى إقليم قبلاى خان سنة ١٢٧٠ ومعهما ماركو بولو وراهبان
أمكنهم اقتناعهما في بالذهاب معهما على أن هذين مالبا بعد سفر قصير أن
رجعا . ولقد سافر هؤلاء الرحالة الثلاثة من شاطيء سوريا واقتحموا أرض
ارمنيا وبلاد الفرس حتى وصلوا مدينة بغداد ومن ثم استمروا حتى خليج
العجم ثم عادوا مخترقين بلاد الفرس حتى وصلوا أفغانستان . ولقد مروا في
طريقهم على مراكز التجارة المهمة وهي كاشغر وقرقند وخوتان ودخلوا
صحراء جوبي الجرذاء ومروا في طريقهم على عدة مدن غمرتها رمال الصحراء
المتنقلة . وبعد سفر استمر ثلاث سنوات وصلوا إلى بلاط قبلاى في
شانجنتون في جبال خينجيان

ولقد أكرم الخان الذي كان يسكن في قصر فخم وفادة المسافرين
وأدخل ماركو بولو في خدمته ورفاه إلى أرقى مراتب دولته واستخدمه في
السفر من جانبه في كل أقاليم الصين على أن يدون مذكرات عن هذه

الرجاليت ، وظل في خدمته سبعة عشر عاماً ولم يسمح له بالعودة إلى بلاده عندما طلب ذلك وقال له ولأخوته أنه تأخى معهم بل ويحبهم ولا يستطيع مغادرتهم وأنه مستعد لتفحيم بكل ما يطلبون من أسباب الثراء والغنى ، غبقوا على الرغم منهم حتى حانت لهم فرصة للهرب : ذلك أن خان الفرس أرسل سفيرا إلى قبلاي طالبا البناء بانيته فوق الإختيار على پولو وأخوته لاصطحاب العروس إلى موطنها الجديد فأتخذوا طريق الشاطئ الشرقى للأسيا وعبروا مضيق ملقا واخترقوا جزيرة سيلان ثم سافروا نحو هرمز وتركوا العروس هناك ثم فروا إلى طرابزون على البحر الأسود ومن ثم أقلمت بهم سفينة إلى البندقية . وعندما وصلوا إلى هذه المدينة تنكر لهم أهلها ولم يصدقوا أنهم هم الناس الذين سافروا من بلادهم منذ روح من الزمن . على أنهم ما كادوا يظهرن لمواطنيهم الملابس الفخمة والجواهر التي جاءوا بها من الشرق حتى صدقوهم . ولقد اندلع حرب بعد ذلك بزمن بين البنادقة وأهل جنوا فأمر في إحدى المعارك ماركو پولو سنة ١٢٩٨ م وسجن وفي أثناء سبجته كتب وصفا لرحلته عبر آسيا وحياة رعيا الخان . ويحوى هذا الكتاب معلومات شيقة حقيقية ولو أن خياله كان بلا شك بخصبا فيما يختص بالتفصيل ؛ فلقد شرح پولو أحوال التتر وصفا مطولا فقال عنهم أنهم لا يستقرون في بقعة واحدة ، ذلك لأنه عندما يحل الشتاء يرحلون إلى بقاع أكثر دفئا كي يجدوا مراعى كافية لمواشيهم ، وأما في الصيف فيمدون

إلى المواطن الباردة في الجبال حيث يقيض الماء ويكثر الكلا وتكون
أنعامهم آمنة من لشع الحشرات ، ويستمزون في هذه الأيام صقودا لوق
الجبال باحثين عن التنكلا لان مواشيتهم وأغنماهم أكثر من أن يكفيها
الكلا في بقعة واحدة ، ويحملون خيامهم معهم أينما حلوا وطابت لهم
المقام . ولقد شرح الأقاليم المختلفة لأمبراطورة وصفا مفصلا أعظم
التفصيل وأبان مقدار تقدم سكانها في المدنية والحضارة . ويقول « أن
بالبلاد طرقا رئيسية عظيمة وبها محطات على بعد كل خمسة عشر ميلا
واستراحات للمسافرين . وفي كل استراحة أربعائة حصان على أهبة
الاستعداد لأن يستخدمها رسل الخان حتى يتسنى لهم دائما السفر السريع .
وعلى مسيرة كل ثلاثة أميال قرى يقطنها الرسل الراحلين وهؤلاء يتمنطقون
بأحزمة معلق بها أجراس صغيرة حتى يشعر بقدمهم على مسافة بعيدة
من قدمهم . ولما كانت المسافة التي يقطعونها في كل رحلة ثلاثة أميال
فان جلبة الأجراس تنبئ بقدمهم ، فيكون الرسول الآخر مستعدا للسير
بالرسالة مسافة أخرى عند قدوم حامل البريد . وقد غرست الأشجار على
بعض أجزاء الطرق كي يستظل بها المسافرون في الصيف ولكي يرشد عن
الطريق في الشتاء عندما يغطي الثلج الأرض وتندثر معالم السبل . »
وليس هنا مجال الوصف المطول للأشياء الكثيرة الهامة التي أخبرنا
عنها بولو عن اليابان والممالك الأخرى التي سمع عنها ، ولا شرحا للفهم

وزيت البترول وغير ذلك من الغلات القيمة التي رآها في رحلاته ولم يترك
زيادة لمستزيد مدة طويلة ، ولكن أجل ما في كتابه ذلك الوصف الخيالي
للشرق وهو صورة ناصعة لمجائب هذا الاقليم الغامض وجماله . وقد خلد
التاريخ لهذا الرحالة مركزا حسنا في تاريخ الكشف الجغرافي ، وهو في
العصور الوسطى بمثابة هيروdot في القرون القديمة . ولكن مما يؤسف له
أن أحدا من عصره لم يثق به . ولم يوجد في تاريخ الكشف البري بعد
عمل ماركو بولو مما زاد في مقدار المعارف الجغرافية قبل القرن الخامس عشر

فاق مركو بولو في اتساع نطاق رحلاته ولكنه لم يفقه في تنوعها . وقد بدأ هذا السائح رحلته في طنجة عام ١٣٢٥ قاصداً للبحث الى بيت الله الحرام بمكة وفي غضون ثلاثين سنة زار فلسطين وبلاد الفرس وأرمينية والقرم والقسطنطينية وبخارى وبلاد الأبخاز والهند ثم عين قاضياً في دهلي . ومن ثم خرج من الهند مع وفد إلى الصين عن طريق البحر ماراً بجزيرة سرينديب . (سيلان) وملديف وسومطرة إلى أن وصل إلى مدينة الزبتون التي كانت أعظم ثغر بالصين في ذلك الوقت ثم رجع إلى القنوط (بالهند) بهذا الطريق وسافر منها إلى هرمز ثم إلى مكة ثم عاد بعد ذلك إلى طنجة سنة ١٣٤٩ . ثم خرج منها إلى اسبانيا ثم بعد ذلك اخترق مراکش وسافر منها إلى السودان ازاء نهر النيجر الذي زعم أنه النيل إلى أن وصل إلى تمبكتو ثم رجع إلى فارس سنة ١٣٥٣ وهناك كتب وصف رحلاته

وبعد ذلك بوقت قصير أخذ اتجاه الكشف بطريقاً آخر . وذلك لأن الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين أظهرت مقدار اعتماد أوروبا على غلات الشرق . ولكن لما كانت كل الطرق التجارية في شرق البحر الأبيض المتوسط وعلى شاطئ إفريقيا الشمالي في أيدي المسلمين . اتجهت أنظار الأوروبيين إلى البحث عن طريق بحري آخر للحصول على سلع الشرق التي ألحت الحاجة إليها . ولقد سافرت سفن البندقية وجنوه إلى شواطئ آسيا الصغرى جلب البضائع التي كانت ترد إليها بالتوافل . ولكن الضرائب التي فرضها المسلمون عليها كانت فادحة ولذلك اتجهت

النية إلى البحث عن طرق ملاحية أخرى . ولقد أخذت البرتغال على عاتقها هذا الأمر لأنها أزاحت عن كاهلها يد الحكم المغربي سنة ١٢٥٠ واتصلت بإنجلترا وفلنדרز (بلاد الفلانك) برحلات تجارية بحرية بما كان سبباً في تقدمها في الملاحة . هذا إلى أن موقعها (لأنها كانت ملتقى طريق البحر الأبيض المتوسط وطريق الأطلس) جعل لها شأنًا يذكر في ذلك .

ولقد وضع الملك جون البرتغالي (١٣٨٣ - ١٤٣٢) أول لبننة في عظمة البرتغال البحرية وكان من أولاده الأمير هنري الملاح التي كانت أعماله أعظم حلقة في سلسلة الحوادث التي جعلت البرتغال أمة بحرية عظيمة . ولقد أنشأ هذا الأمير مدرسة بحرية في قرية شاجر بالقرب من رأس سنت فنسنت واستخدم جاكوم المايورقي وهو ذلك الملاح البارع في عمل الخرائط والآلات الصالحة للملاحة كما استخدم الأساتذة من العرب والاسرائيليين في تعليم البرتغاليين . وكانت عاقبة أعماله المثمرة تحسين الخرائط والسفن الكثيره . وفي عام ١٤١٥ استولى على مدينة سبته وكانت سوقاً تجارية عظيمة للمغاربة وبذلك عرف مقدار التجارة البرية في شمال افريقية . وفي عام ١٤١٨ شرع هنري في إرسال بعثات حول ساحل افريقية الغربي وعرف منذ ذلك الوقت هذا الطريق الموصل إلى الهند بالطريق البرتغالي . وفي سنة ١٤٢٠ كشف أحد أتباعه جزائر مديرة واستولى عليها وفي عام ١٤٣١ كشف آخر جزائر ازور واستعمرتها ، البرتغال سنة ١٤٣٦ .

وفي زمن الأمير هنري كان ساحل أفريقية الغربي معروفاً حتى رأس بجادور (الرأس البارز) وهو رأس نائي خلفه شواطئ رملية وحوله تيارات قوية وحاول كثيرون عبده فلم يفلحوا لصعوبة الملاحة على الشاطئ هناك . ولكثرة الخزعبلات التي ملأت القوم فزعا ورعبا . وكان التغلب عليها أعظم صعوبة لدى الأمير هنري على أن أحد أتباعه اجتاز هذا الرأس سنة ١٤٣٤ ووصل آخر إلى ريو دورو التي ظن أنها مصب نهر ؛ ونظرا إلى حدوث أزمات سياسية بالبرتغال وقف تيار الكشف حتى نهاية سنة ١٤٤١ عندما وصل سائح آخر إلى رأس بلانكو (الرأس الأبيض) وفي العام التالي استحضر البرتغاليون أرقاءهم الأولين كما جلبوا الذهب إلى بلادهم . وفي سنة ١٤٤٣ وصلوا إلى خليج أرجوين الذي يبعد عن رأس بلانكو بمقدار ١٢٠ كيلومتر جنوباً . واكتشفوا جزيرة اتخذوها مركزاً للتجارة مع ولايات العبيد وبلاد السنغال وغينيا . وبعد قليل أصبحت هذه الجزيرة سوقاً حافلاً بالتجارة ، ثم وصلوا إلى رأس فرد سنة ١٤٤٣ ورأس بلناس سنة ١٤٤٥ . ولم يكن أحد إذ ذاك يعارض في استرقاق العبيد الوثنيين ، ولبت المغاربة ردحا طويلاً يجلبون السود عن طريق الصحراء ويبيعونهم في تونس ومراكش . وما يؤسف له أن اللحاق في طلب الذهب والرقيق أنسى البرتغاليون الغرض الأساسي الذي ساءوا من أجله والذي كان يرمى إليه أميرهم ؛ فحسبوا الغارات على الأهالي الذين أخذوا يكرهون البرتغاليين واعتقد هؤلاء أنهم إنما يؤخذون لأكلهم . وما يؤسف لي أن تكون هذه أعمال مسيحية

ولكن الأمير هنرى كان يقول أنه إنما يأخذهم لتثقيفهم على أن الأهالى كانوا يعمنون فى القسوة عليهم .

وفى سنة ١٤٤٥ اكتشف رأس النخيل (يلباس) وسمى كذلك لانتشار النخيل حول الرأس وكان حدا فاصلا لإقليم الصحراء . وقد دهش الأهالى لرؤيتهم السفن الشراعية الكبيرة لأنهم لم يروا مثلها . وقد اعتقد بعضهم أنها حيتان كبيرة وآخرون ظنوها شجعا أو ظائرا كبيرا . وقد نشأ عن هذا الكشف إرسال بعثة أخرى لفتح أبواب التجارة . ولكشف النيل الغربى إن أمكن فقد زعم الأمير هنرى أنه ليس بعيداً وسرعان ما أدى البحث عن مجرى ماء عذب وذلك هو ماء نهر السنغال . لكن الأهالى أظهروا عداوتهم وردوا التجار على أعقابهم .

وفى عام ١٤٥٥ سافر ملاح بندى كان فى خدمة الأمير هنرى إلى جزائر مديره ثم كشف نهر غمبيا واستمر عدة أيام حيال خليج غانه بحيث تجاوز حدود الاستكشافات الجغرافية السابقة .

وفى عام ١٤٦٠ استكشف دياجو جونس رأس فرد وكانت سياحته هذه آخر كشف فى عهد الأمير هنرى ثم صارت جزائر زورث وجزائر فرد قواعد الاستكشافات التالية .

وكانت عاقبة أعمال الامير هنرى ذات أهمية خالدة فقد مما أثر بالخزعبلات التى سبق ذكرها وكان أحسن مثال للمستكشفين الآخرين . وكانت عاقبة أعماله الأخيرة كشف طريق يجرى للهند والشرق وانشاء دولة استعمارية أوربية .

الفصل الخامس

برثوليو دياز — فاسكو دا جاما

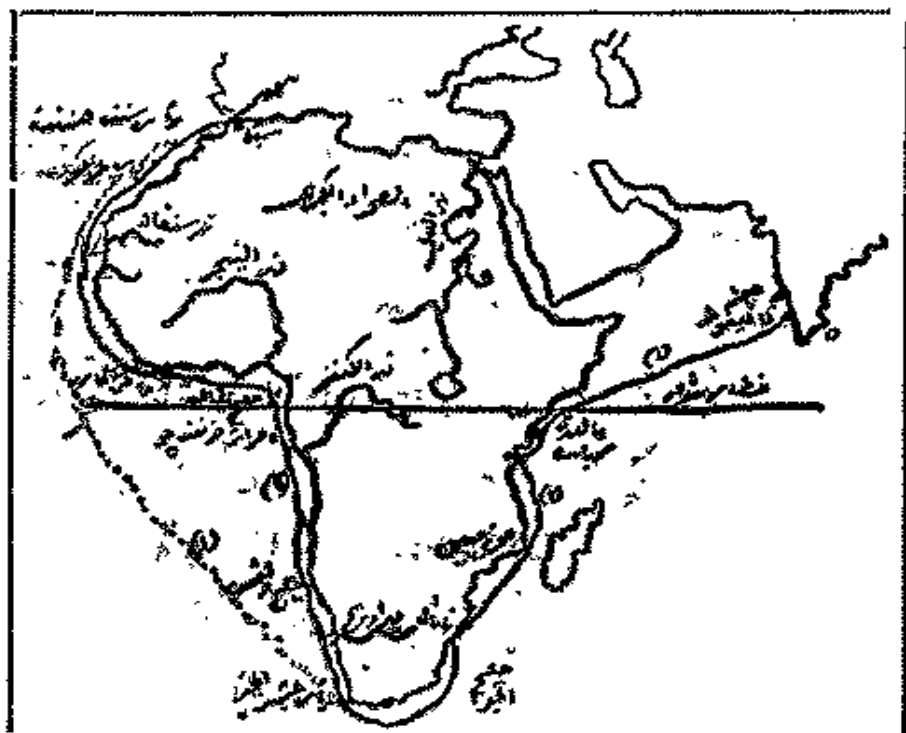
والملاحة حول رأس الرجا الصالح

(Vasco da Gama) (Bartholomew Diaz)

عندما مات الأمير هنري سنة ١٤٦٠ لم يكن قد نفذ غرضه من استكشافه ساحل إفريقيا غير أنه رسم الخطط المستقبلية لذلك وكان على أهبة الاستعداد لمتابعة أعماله ولكن بما يؤسف له (أن ملك البرتغال الذي حكم مدة العشرين سنة التالية لم يكن ميالا لتشجيع الكشف الجغرافي ومناصرته على أنه بالرغم من ذلك فقد تقدم الكشف بعض التقدم . ففي سنة ١٤٦١ أقطع بحار يدعى بدرو داسنترا إلى خليج غانه وسار ٦٠٠ ميل حول شواطئه حتى وصل إلى خليج بنين وفي أثناء سفرته رأى جبال سيراليون (جبال الأسد) وسماها كذلك لأن صوت الرعد على قممها كان يشبه زئير الأسد .

وفي سنة ١٤٧١ أكتشف فرنندبو الجزء الجنوبي من الشاطئ وجزيرة سماها باسمه وفي هذا العام اخترق خط الاستواء ولم يحصل للملاحين شيء مما كانوا يتوهمونه عند عبور هذا الخط الغامض ؛ وأهم ما لوحظ اختلاف النجوم الظاهرة واختفاء النجم القطبي تقريباً تحت الأفق ورؤية الصليب الجنوبي (وهو مجموعة من النجوم)

أما ملك البرتغال الذي تولى الحكم سنة ١٤٨١ فقد كان شغوفا كالأمير هنرى لمتابعة الكشف واستعمار شاطئ أفريقيا للبرتغال ، فأرسل رؤساء ملاحيه وأمرهم بوضع صلبان ضخمة فى الجهات الهامة والاستيلاء على الأقاليم باسم مملكتهم ، لذلك أقلع ديجو كوا (Deogo Coa) سنة ١٤٨٤ حتى رسا عند مصب نهر السكنفو وهناك نصب صليباً . ولقد سر رئيس القبيلة المجاور من سلوك البرتغاليين وعاملهم بالحسنى . وفيما بعد عاد كوا ومعه قسيس وانصر هذا الرئيس فكان أول مسيحي وصل جنوب خط الاستواء وفى سنة ١٤٨٦ وصل كوا إلى ما يعرف الآن بخليج وانكس ولكنه لم يقمزم إلى جهة أبعد منه وترك لبحار آخر شهير الوصول إلى أقصى جهات القارة جنوباً .



(شكل ٥) طريق الرأس إلى الهند

— فاسكوداجاما

... دياز

وفي سنة ١٤٨٦ غادر برثلوميودياز (Bartholomew Diaz) البرتغال
ومعه ثلاث سفن وكانت مهمته البحث عن أقصى القارة الإفريقية جنوبا
واستكشاف مملكة القس (جون) فسار حذاء الشاطئ حتى وصل
منصب نهر أورنج ولكن الرياح دفعته نحو الشرق . ولما لم يجد أرضا
أمامه سار نحو الشمال حتى وصل إلى خليج موسل سنة ١٤٨٨ ثم اقتفى
أثر الساحل صوب الجنوب إلى أن وصل إلى خليج الجوا (وسمى هذا
الخليج كذلك لأنه كان محطة لسفره فيما بعد أدت إلى إنشاء مستعمرة
جوا على ساحل الهند) ثم وجد أن الساحل يسير شمالا مما جعله يعتقد أنه
طاف حول إفريقيا ثم ألح عليه البحارة في العودة فعاد وكشف ذلك الرأس
الذي لم يكن معروفا وقد سمي هذا الرأس الذي زعزعته عنده الرياح
رأس العواصف ، ثم عاد إلى بلاده فهناه الملك على كشفه وأبدل الملك
اسم الرأس برأس عشم الخير تيمنا بأن البرتغاليين سيفتحون الطريق إلى
الهند لطلب ثروتها . وكانت أهم سفرة في تاريخ الكشف الجغرافي إذ
بعث في نفوس الكاشفين الأمل وشجعهم على القيام بالرحلات مدة القرن التالي .
ومعلا شك فيه أن هذا هو الذي حبس كلبس على السفر نحو الغرب
لأنه قام بذهنه أنه إذا كان في استطاعة الناس أن يسافروا صوب الغرب
مسافات طويلة فيمكنهم السفر غربا لاستكشاف أراضي هذه الجهة .
ولقد كان من المنتظر طبيعيا أن يعد ملك البرتغال رحلة أخرى
لإتمام العمل الذي قام به دياز ولكن حصل بعض التلكؤ . ومع أن
بعض الجوابة البرتغاليين سافروا إلى بلاد الحبشة حيث كشفوا مملكة

القسيس جون فلم يفكر في إرسال بعثة كشفية ثانية إلا في سنة ١٤٩٧
إذ قام فاسكودى جاما من البرتغال . وفي هذه الأثناء سافر كلبس صوب
الغرب إلى جزائر الهند الغربية وأنجحت الأنظار نحوه وصرفت مؤقتا عن
إفريقية وبما أنه أشيع أنه وصل إلى سواحل الصين فأثار ذلك في نفس
ملك البرتغال حية إتمام الرحلة حول شواطئ جنوب افريقية فاختار
فاسكودى جاما للقيام بالمهمة واعتبرها مشروعا وطنيا وأقنع الربان بين
أصوات الجماهير وحماسهم فأقنع بثلاث سفن سارت حذاء الشاطئ الغربي
حتى وصل إلى خليج غانة ومن ثم سار صوب الجنوب لأنه قدر أن هذا
يوصله إلى غرضه دون التعرض للمصاعب والأخطار التي لاقاها دياز في
طريقه . وقد ظل ثلاثة أشهر لم ير في أثناءها أرضا فثارت عليه البحارة
ولولا صرامته وحزمه لما استطاع أن يحملهم على الاستمرار . وكان البحر
مضطربا كثير الأعاصير والجو باردا . وأخيراً وصل إلى الخليج الصيني
(الجوا) وهناك تمونوا باللحم ومن ثم استمروا في طريقهم حتى وصل إلى
النقطة التي وصل إليها دياز وهي مصب نهر جريت فش . وفي يوم الميلاد
كشفوا شاطئاً جميلاً سموه ناتال لأن كشفه كان يوافق يوم ميلاد المسيح
وبعد أن استقروا في خليج في الشمال (كيلمانى) انتشر بينهم المرض
لعدم وجود غذاء طازج ولسكنهم قاوموا المرض وتغلبوا عليه ثم استأنفوا
السير حتى وصلوا إلى موزمبيق ، وهناك التقوا بالسائحين العرب الذين
كانوا يجوبون البحار بين البحر الأحمر وشاطئ الهند الشرقي وقد اضطهد
الملاحون أهالي ممباسا ولكن عند مالندى في شمالي هذه الجهة استقبلهم

الحاكم الوطني استقبالا حسنا ومن ثم بدأت آخر رحلة من رحلاتهم .
ولقد أمد هذا الحاكم جاما بدليل سان بالسائحين صوب المحيط الهندي
وبعد عشرين يوما وصلوا إلى ساحل الهند ١٤٩٨ وأثبت بذلك النظرية
التي كان يقول بها الأمير هنري وعمل إلى الوصول إليها وقد رست السفن
على بلدة «قاليقوط على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند .

وعندما نزل البرتغاليون إلى الأرض أعلنوا أن مهمتهم البحث عن
المسيحيين ومشتري التوابل ولقد قابلهم الأهالي بأذى الأمر بمقابلة حسنة
ولكنهم ما لبثوا أن أظهروا لهم العداوة والبغضاء مما اضطرهم إلى السفر
عائدا إلى وطنه . وقد كانت العودة إلى إفريقية طويلة وشاقة وانتشر
المرض بين الملاحين وقضى على عدد عظيم منهم وبعد أن وصل إلى مالندا
اضطر لترك أحد فلكه لأن بها عطبا لا يرجى إصلاحه وسار حول الرأس
بصوبة ثم تابع رحلته حتى وصل إلى جزائر أزور ثم ألقى عصا التسيار في
مصعب خليج نهر تاجه سنة ١٤٩٨ .

وليس هنا مجال البحث في تعدد الأسفار التي قام بها الرحالة
البرتغاليون صوب الهند والشرق مدة خمسين السنة التالية فقد قامت
أساطيل تجارية كثيرة للتجارة مع أهالي الهند الذين كانوا يعاملون معاملة
سيئة وقاسية عند الامتناع عن تبادل السلع معهم .

وأسس البرتغاليون بلدة «جوا» وقاليقوط مركزين للتجارة .
ولقد ظهر البحارة البرتغاليون في جنوب بلاد العرب والخليج الفارسي
بوسيلان ووصلت تجارتهم إلى سومطره وجزائر البهار، (ملقا) وغزوا

جلادا كثيرة بأفريقية وتحقق حلم القرن الخامس عشر وتوطدت شهرة
البرتغال وصارت مملكة واسعة الثراء عظيمة الجاه .

الفصل السادس

كلببس (Columbus) وكشف الدنيا الجديدة

لقد كانت أعمال الأمير هنري وغيره ممن جابوا الأقطار البعيدة سبباً في
إثارة شعور الاهتمام بالكشف ، وكان من نتيجة رحلات البرتغاليين أن
تحركت أفئدة الناس للبحث عن أقاليم جديدة أكثر اتساعاً ؛ ومن
هؤلاء الذين تأثروا بالتقدم الكشفي كرسفر كلببس الذي سنذكر أعماله
فيما بعد .

جري القول بأن كلببس من أهالي جنوا من أعمال إيطاليا . وسواء
أصح هذا الزعم أم لم يصح فما لا شك فيه أنه قضى مبدأ حياته بحساراً في
السنن الجنوبية وأبحر في هذه السفن من الشاطئ الغربي لأفريقية جنوباً
حتى شاطئ آيسلنده شمالاً كما خاض هباب البحر الأبيض المتوسط كله . ولقد
حكى عنه أنه قال « أقلعت في كل سفينة عجرت في البحار » وقد يصح أن
يقال عنه أنه تعلم كل شيء خاص بالملاحة وعرف كل شيء عن العالم حينئذ
وجمع كل ما أمكنه من المعلومات الجغرافية ، وآراء بعض القدماء عن شكل
الأرض وحالتها العامة ، وألم بكتاب ماركو بولو وآراء اليونانيين القدماء

الجغرافية . ولقد أثارته قصص البرتغاليين المستكشفين وزادته شغفا لمنافستهم في هذا الصدد وتمسكينه من اختبار نظرياته بنفسه .

جاء إلى البرتغال سنة ١٤٧٠ وبعقدرة وجيزة تزوج من سيدة من أهل مديرا وفي أثناء مكثه في هذه الجزيرة تعلم الكثير من البحارة البرتغاليين . الذين قدموا إلى هذه الجزيرة من حين إلى آخر ومن المحتمل أنه في هذه الفترة تحددت آراؤه وأقنعه بأنه يستطيع الوصول إلى الشرق إذا سافر غربا لأن الأرض مستديرة كما قال اليونانيون ، وأخذ يفكر في الإشاعات التي سمع بها من وجود كتلة أرضية كبيرة غربي الدنيا القديمة . فلقد تحدث القرطاجنيون عن أتاتلا وذكر أفلاطون وجود قارة أتلانتس في المحيط الغربي وحصل على خريطة تسكاني الإيطالي الماهر وقد ظهر فيها المحيط الأطلسي ممتداً حتى شواطئ آسيا ورسم خطأ وهمياً يفصل بين أوروبا وأفريقية وهذه القارة . هذا إلى الأفاصيص عن أشياء قذف بها المحيط إلى الشاطئ من قطع من الأشجار منحوتة نحتاً عجيباً ومن بقايا أجسام بشرية .

ولقد أخذ يغربل هذه المعلومات واستنبط منها وجود أرض في الجزء الغربي من المحيط وأنها مسكونة وأنه من المستطاع الوصول إليها ؛ ومن أجل التأكد من صحة هذه المعلومات قرر القيام برحلة عبر المحيط الأطلسي ولسكن النفقة كانت باهظة ولا بد له من الحصول على المساعدة المالية فحاول أن يحصل عليها من مدينة جنوة العظيمة التجارة ولكن أرباب السلطة رفضوا معونته ففكر في ملك البرتغال وظن أنه قد يساعده رجلا

مثله مثل الأمير هنرى الملاح يرغب في السفر من أجل الكشف؛ ولكن هذا الملك رفض أن يناصر أى كشف من شأنه التدخل في أمور المستعمرات البرتغالية غير أن هذا الملك أرسل سفينة كبيرة لتسبق كلبس في كشفه ولكنها عادت أدراجها بعد سفرة غير موفقة . ولقد اتجه كلبس بعد ذلك نحو أسبانيا ولكن الملك فردناند والملكة ايزابلا كانا منهكين في قتال المغاربة فكونا لجنة لفحص المشروع وهذه قررت أن المشروع عبث ومستحيل ولكن بعض الأشراف أظهر بعض الاهتمام بيد أنهم لم يستطيعوا إقناع الحاكمين بمد يد المعونة لكلبس . فأرسل عندئذ أخاه إلى بلاط هنرى السابع ملك إنجلترا ولكن سفينته أصابها العطب وضاعت الخرائط وتأخرت الرحلة بسبب إعداد خرائط جديدة

وأخيراً وافقت ايزابلا على مد كلبس بالمال اللازم وعينته أميراً للبحر وحاكماً لكل أرض جديدة يكتشفها كما قررت أن يكون له نصيب من الغنائم وأرسلت معه رسائل من ملك اسبانيا إلى الخان العظيم وريستور جون وكل حكام الشرق الذين يزور بلاطهم . ولا مشاحة في أن الملكة تأثرت من قول كلبس بأنه سينصّر كل قبائل الشرق . على أنه بالرغم من المساعدة الملكية فإنه لاقى صعوبات عظيمة في الحصول على بحارة بخاطرون بحياتهم في بحار مجهولة . وأخيراً تمكن باستعمال الرشوة والقوة من العثور على بحارة للسفن الثلاث وكان عددهم ١٢٠ ومعهم مئونة تكفيهم ١٣ شهراً .

وفي أغسطس سنة ١٤٩٢ أبحر كلبس من ثغر بالوس Palos ولكنه ما كاد يبدأ رحلته حتى ثار البحارة عليه عند ما أبصروا بركان تينريف في جزائر مديره ، وازداد رعبهم عند ما غابت عنهم معالم الدنيا القديمة فأخذ كلبس يهدى روعهم بإخبارهم عن الثروة التي سيجدونها وأدلى لهم بمعلومات خاطئة عن المسافة التي كانوا يقطعونها يومياً حتى لا يظنوا أنهم ابتعدوا كثير عن أرض بلادهم وسرعان ما اجتازوا بحر سارجوسا ، وهو جزء من المحيط الأطلسي كثير الأعشاب ، فقرروا في بادئ أمرهم ظناً منهم أنهم اقتربوا من الأرض؛ ثم أنهم كانوا يرون أحيانا طيوراً فيطمثنون لمصيرهم ، ولكن الرياح التجارية كانت دفعهم نحو الغرب فحافوا من أنهم قد لا يستطيعون العودة إلى بلادهم فهاجوا وماجوا ولولا مثابرة كلبس وحذره لثاروا عليه وأرغموه على الكف عن مخاطرته. على أنه بعد وقت قصير وجد نوعاً من الطحلب مما ينمو في الأنهار ورأى سمكا أخضر مما يعيش بين الصخور ، وأغصاناً بها ثمر العليق فصلت حديثاً من أشجارها : كل هذه وغيرها من أمارات الأرض ملأت نفوسهم طمأنينة وهدأت من روعهم حتى أبصر كلبس بنفسه « مساء ذات ليلة ضوءاً باهراً على مسافة بعيدة فطلب إلى غيره من التجار أن يبصروه وكان هذا الضوء منبعثاً من مشعل مما يحمله صيادوا السمك يرتفع ونبخوا مع الموج ، وفي الساعة الثانية صباحاً ظهرت الأرض فتوقفت

السنن عن السير حتى الفجر ، ولقد سر كلبس لأن أحلامه أخذت تتحقق
ودب في نفسه الرجاء والأمل .

وفي صباح اليوم التالي (الثاني عشر من أكتوبر سنة ١٤٩٢) ظهرت
جزيرة جميلة هي جزيرة سن سلفادور (أو وتنج من جزائر البهاما)
فانغورقت عيننا كلبس ورجاله بالدموع فرحا وسجدوا لله شكراً على نجاحهم
واستولوا على الجزيرة باسم ملك أسبانيا . ولقد أخذ الفزع والروع من
الأهالي كل ما أخذ بادى بدء على أنهم ما لبثوا أن استردوا وشجاعتهم عندما
آنسوا من البحارة اللطف ، وأخذوا يتأملون في سلاحهم اللامعة وملايسهم
الفخمة وقايضوم بقبعات حمراء وعقود من الخرز ببغاوات وسهام وخيوط
فضية . وسمع كلبس من الأهالي أن الذهب موجود في كيو بنكان
Cubanean ولما كان متشبها بالرأى أنه ليس بعيداً عن شاطئ آسيا فظن أن
هذا إشارة إلى مقر قبلاى خان فصمم على الابحار إلى هذه الجهة فوصل إلى
كوبا وقد ظننا بادىء الأمر أنها بلاد اليابان وانه وصل إلى آسيا ، فسار
إزاء سواحلها وأرسل بعثة إلى داخلها فاحتفى بها الأهالي ورحبوا بها أيما
ترحيب ثم رأوا الأهالي يدخنون أوراق شجرة مجففة ملفوفة يسمونها
تابا كوس وهي الدخان المعروف ، ورأوا الليرة والقطن . ولكن كلبس
كان وراء شيء أتمن يأخذه ليقدمه لعاهل أسبانيا دليلاً على نجاحه ولذلك
واصل رحلته حتى وصل إلى جزيرة هايتى ولحاكتها لاسبانيا
أسمها هسبنيولا .

ولقد وجد الأهالي حينما حل على جانب عظيم من الوداعة ولطف

المعاشرة ولكنه لم يجد ذهباً . وثبط من عزمه وهيمته عطب أصاب أحد سفنه فزل بجارتها في الجزيرة للبحث عن الذهب والحصول على معلومات أخرى يدلون بها عند العودة إلى أسبانيا ، وهجرته سفينة أخرى وذهب بجارتها للبحث عن الذهب ولم يعودوا إلا عند العودة إلى أرض الوطن :

وفي الرابع من يناير سنة ١٤٩٣ أبحر كلبس إلى بلاده فصادف زعازع وأعاصير في الفترة الأخيرة من رحلته قبل وصوله إلى جزائر ازور فاستراح قليلاً بهذه الجزائر وشكر هو والبحارة الله على نجاتهم . ولكن لما كان السكان من البرتغاليين المعادين للأسبان فأسرع للفرار منهم وبعد رحلة شاقة وصل إلى مصب نهر التاجه فقابله ملك البرتغال بالترحاب ولكنه تأثر من الفرصة التي ضاعت عليه وأخيراً بعد رحلة استغرقت حوالي سبعة شهور ونصف وصل إلى ثغر بائس ثانية وقد سر الأهالي بقدمه سروراً عظيماً وأعجبوا من الغلات التي جلبها البحارة معهم .

البصيرة الساج

رحلات كالمبس التالية وفسبوتشى (VESPUCCI)

وكبرال (CABRAL) وبلبو (BALBOA)

بعد أن قضى كالمبس وقتا قصيرا في بالس واشبيلية طلب إليه أن يذهب إلى البلاط الملكي بربلونه ، ذلك لأن أخبار كشفه ملأت العاهلين سرورا ودهشة . فأمر أن يستعد لسفرة أخرى ليوطد دعائم الملك في البلاد التي كشفها . نعم أن القوم ظنوا أن هذه الأراضي الجديدة من أملاك الخان العظيم ولكنهم كانوا يرون من حقهم الاستيلاء على أراضي غير المسيحيين لينصروا أهلها ، ودفعا للشك طلب من البابا أن يرخص بما طلبته أسبانيا وقد لى الأمر لأنه كان ينظر إلى ملك اسبانيا وملكها كأههما عماد النصرانية ، ولكن يمنع الاشتباك مع البرتغال في القتال أصدر أمرا في مايو سنة ١٤٩٣ بأن البلاد التي تقع شرق خط وهمي من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى وعلى بعد ١٠٠ فرسخ غربى جزائر ازور وجزائر فرد تكون ملكا للأسبان وتلك التي تقع في شرق هذا الخط تكون ملكا للبرتغال ولولم يغير هذا الخط فيما بعد لاستولت اسبانيا على أمريكا بأسرها واستولت البرتغال على ماليزيا وباروواسترايا ولكن البرتغال عارضت في ذلك فعزل البابا سنة ١٤٩٤ موضع هذا الخط وجعله على بعد ٢٨٠ فرسخا غربى جزائر فرد .

وفي السفرة الثانية أعد كلبس أسطولا أكبر من اثنتي عشر سفينة
وبعض سفن صغيرة وكان عدد رجاله ١٥٠٠ من بينهم صناع مهرة
ومبشرون وكان مع رجاله بذور وآلات زراعية . ولقد أفلح الأسطول في
٢٥ سبتمبر سنة ١٤٩٣ وكان الجو ملائما والرحلة موفقة ووصل إلى جزيرة
أسماها دمنيكاً وأخيراً وصل إلى هسبنيولا ثانية ولكنه وجد أن الحامية
التي تركها بها قد أبيدت عن آخرها بسبب مناوأتهم الأهالي وكرههم لهم
فأنزل حامية أخرى بهذه الجزيرة للبحث عن الذهب ولكنها باءت
بالفشل . أما كلبس فسار للبحث عن أرض جديدة وكشف جزيرة
جيكاثم عاد للحامية واستعمل القسوة في حكمه المستعمرة التي أسسها فبالج
أعداؤه في إشاعة قسوته واستعمل هؤلاء نفوذهم عند الملك والملكة فماد
إلى اسبانيا تاركا أخاه ليحل محله في الحكم .

وفي سنة ١٤٩٨ رخص له بالسفر مرة ثالثة فقسم سفنه قسمين وأرسل
قسما منها مباشرة إلى هسبنيولا والقسم الآخر سار صوب الجنوب على أمل
كشف أرض جديدة ؛ وكان الجو شديد الحرارة وطالت الرحلة وكاد
الماء يبيض والقوت ينفد ولكن أحد البحارة أبصر جبلا مرتفعة فتشجع
الرجال واستمروا وما لبثوا أن وصلوا إلى جزيرة أسماها كلبس ترينيداد
ولقد وجد بالجزيرة حقولا نضرة وحدائق غلابة ذكرته بحدائق بلنسية على
أن الرحلة استمرت حتى وصلت إلى شاطئ أمريكا الجنوبية ولكنه ظنه
بمجموعة جزائر أخرى كبيرة ومر على خليج أرنوكو وأدهشته كمية المياه

المذبة المتدفقة في البحر عنده ثم عاد إلى هسبنيولا مقتنعا بأنه كان بالقرب من قارة عظيمة .

وعند ما وصل إلى هسبنيولا وجد نيران الثورة مشتتة بين المستعمرين وقد قضى أشهراً في استتباب النظام وقد رجع من هولاء ما لم يرقه طريقته في الحكم . وفي سنة ١٥٠٠ استصدر أعداؤه أمراً بإرجاعه إلى إسبانيا ~~مكبلاً~~ بالسلاسل ثم أفرج عنه ، وفي سنة ١٥٠٢ سمح له الملك والملكة بأن يقوم بسفرة رابعة يبحث فيها عن طريق بحري لمستعمرات البرتغال في آسيا . وفي أثناء طريقه زار كثيراً من الجزائر التي كشفها من قبل وقد سافر صوب الشرق وكشف هندوراس . ولقد أدهشته أمارات الحضارة البادية بين السكان فكانوا يستعملون فتوساً من النحاس وأواني خزفية حسنة الصنع وعباءات من القطن وكميات كبيرة من بذور الكاكاو التي كانوا يقاتنون بها ويستعملونها واسطة للتعامل . ولقد سار كلبس حذاء الشاطئ حتى وصل درزين ولكنه لم يكتشف الثغرة التي كان يريدتها . وعندما عاد إلى كوبا صادف متاعب أخرى وفي سنة ١٥٠٤ عاد إلى إسبانيا وقد وجد أن مناصرته الملكة إزابيلا قد قضى نحبها فقضى الباقية من حياته فقيراً معدماً ومات سنة ١٥٠٦ .

وبعد سفرة كلبس الثالثة قام كثير من الأسبان بإضافة تفاصيل كثيرة عن جزائر الهند الغربية ولم ينقض وقت طويل حتى تكشفت أن الأرض التي نزل إليها كلبس كانت في الواقع الدنيا الجديدة وليست آسيا . ومن هولاء الكاشفين شخص يدعى أمريجو فسبوشي : ففي سنة

١٤٩٧ — ١٤٩٨ سار جنوباً حذاء شاطئ أمريكا الجنوبي ثم شمالاً
إزاء الشاطئ الشرقي لأرض تسمى الآن الولايات المتحدة وفي السنة التالية
سافر صوب الغرب ووصل إلى شاطئ البرازيل . وفي السنة التالية سافر
برتغالي آخر يدعى كبرال إلى الشرق فدفعته الرياح التجارية إلى المحيط
الأطلسي ووصل إلى شاطئ البرازيل واستولى عليها باسم البرتغال . ثم
دخل فسوشي في خدمة البرتغال وفي سنة ١٥٠١ — ١٥٠٢ كشف شاطئ
أمريكا الجنوبي ووصل إلى نقطة تبعد شمالاً عن رأس هرن بنحو ١٥٠٠
ميل ومن ثم ظهرت ضخامة القارة الجنوبية الجديدة ولو أن شاطئها الغربي
لم يكشف بعد . وقد أثار وصف فسوشي رحلته اهتماماً عظيماً حتى قال أحد
الكتاب : بل أن أميريجو فسوشي كشف ربع الدنيا الجديدة فيجب أن
تحمل اسمه وعلى كر الأيام أطلق هذا الأسم على الدنيا الجديد ، ولو أنه
في ذلك الوقت لم يدر بخلد القوم أنها كتلة أرضية واحدة .

ولقد حاول الأسبانيون مراراً أن يستعمروا أمريكا الوسطى ولكنهم
فشلوا لسوء إدارة قوادم وللأمراض المتفشية بها وعند مارجع الأخيلاء
من إحدى التجريدات إلى هسبنيولا حملوا على العودة . وقد وجد من
العائدين رجل اختبأ في أحد البراميل بين حمولة المركب وكان مديناً أراد
الهروب من مدينته . وكان هذا المفلس هو بلباو الذي ظهر فيما بعد أنه
الرجل الوحيد الذي أظهر كفاءة في استعمار الأرض الأصلية . وعند
ما كشف أمر بلباو استشاط الربان غضباً وصمم على تركه في الجزيرة لولا
تدخل البحارة . وعند ما نزل البحارة إلى برزخ درين (بناما) كان بلباو

قائد المستعمرين فوضع الأمور في نصابها بين الأهالي وكسب احترامهم كسبا مدهشا . ولقد سمع منهم بوجود محيط عظيم في الجهة الأخرى من البرزخ ومملكة عظيمة غنية بثروتها المعدنية في الجنوب . وفي ذات يوم تسلق جبلا مرتفعا وسط البرزخ فظهر له محيط عظيم فكان أول أوربي كشف المحيط الهادى سنة ١٥١٣ . فصمم بلباو على صنع سفن تخر عباب هذا المحيط فأرسلت اليه مواد البناء من جزائر الهند الغربية ومن أسبانيا في الشاطئ الشرقى للبرزخ فنقلها إلى الشاطئ الغربى . وبينما كان على أهبة لإتمام المعدات قتله نخلة أولئك الذين حقدوا عليه نجاحه وترك لغيره جنى ثمار كفاحه وشجاعته .



الأسبان بالدنيا

الفصل الثامن

آل كابت (The Cabots) ومبدأ البحث

عن الممر الشمالي الغربي

عندما وصلت أنباء سفرات كلبس إلى إنجلترا لم يكن هناك رجل انجليزي أكثر أسفا من هنري السابع لأنه لم ينتهز فرصة مساعدة ذلك البحار العظيم . ومن ثم كان سبب تمسسه لمساعدة بحار من أهل جنوه يدعى جون كابت ، وكان من تجار البندقية ولسكنه استقر به المقام مع أسرته في برستل مدة حكم ادوارد الرابع . وعند ما كان في خدمة التجار البنادقة على شاطئ بحر للشرق اتصل بالتجار الذين كانوا يرتادون شواطئ آسيا الصغرى وسوريا للحصول على غلات الشرق الفنية ، واستعلم منهم عن مصادر بضائعهم ولسكنه كانوا يجيبونه بأنه تناولتها أيد كثير قبل أن تصلهم من الشرق الأقصى . ولما كان كابت ماهرا في معرفة الخرائط والمصورات المعلومة في تلك الأيام وكان يؤمن باستدارة الأرض صمم على أن ينتهز الفرصة عند ما تسنح له للوصول إلى شاطئ آسيا عن طريق شمالي المحيط الأطلسي . ولقد كان يعلم أن إنجلترا لا تستطيع الاستغناء عن الشرق وثروته واستشف أخلاق هنري السابع واعتقد أنه على تمام الاستعداد لمساعدة للحصول على هذه الثروة . وكان كابت يعلم أنه لو استطاع أن يجد

طريقا إلى الشرق مباشرة لاقتصد المشاق الكثيرة من نقل هذه العلات بالسفن والقوافل وبذلك تنقص قيمة نقل هذه البضائع الانجليزية ، لذلك طلب إلى الملك مساعدته في تنفيذ مشروعه فأجابته إلى طلبه وأصدر مرسوما بذلك في سنة ١٤٩٦ . وقد نص هذا المرسوم على الترخيص إلى كابت وأسرته بأن يسافروا في كل الجهات والأقطار والبحار شرقا وغربا وشمالا للبحث عن أقاليم لم تكشف بعد ، ولم ينص في الخطاب شيء عن الجنوب ، لأن هنرى لم يكن يرى من المناسب أن يتدخل في الأرض التي كان المفهوم أنها من اختصاص الأسبان والبرتغاليين .

ورخص لآل كابت باستعمار الأرض التي لم تكشف من قبل باسم الملك و لكل الثروة التي يحصل عليها يكون خمسها ملك انجلترا والباقي لهم . على أن يعفوا من ضرائب الموانئ الانجليزية التي تجبى عادة من التجار . وكل من يريد الاتجار مع الأرض التي لم تكشف يجب أن يطلب الترخيص من آل كابت

ولقد بدأت السفرة سنة ١٤٩٧ في سفينة صغيرة بها ١٨ بحارا . وقد ألق السكاشف من جنوبي ايرلنده في الأطلنطي متجها صوب الشمال ، وعندما وصل إلى خط عرض معلوم اتجه صوب الغرب ، ولا يعرف المكان بالضبط من أمريكا التي رست عنده سفنه ، ومن المحتمل أن يكون بمقربة من رأس برتن في خليج سنت لورانس ، ثم ارتاد بعد ذلك عدة أميال من الساحل ، وأدهشته كثرة الأسمالك في هذه الجهات ووجد آثار العمران .

ولسكن لما كان رجاله قليلين وقلت مئوته اضطر للمودة ووصل برستل بعد مضي ثلاثة شهور .

وبما لاشك فيه أنه كان يقصد برحاته مجرد استطلاع مبدئي ، كما أنه لامراء في أنه اعتقد بأنه وصل إلى شاطئ آسيا . ولقد سر الملك هنري من تقريره ومنحه هبة من المال وقدر له معاشا سنويا . وفي أثناء ذلك أخذ يعد العدة للقيام برحلة أخرى وأغرى الكثير من الرجال للانضمام إليه .

وفي الرحلة الثانية قام كابت بعدة سفن محملة بمختلف البضائع الإنجليزية . وكان هم العثور على سيبانجو (أو اليابان) التي وصفها ماركو بولو والعثور على منبع ثروة الشرق فقام في مايو سنة ١٤٩٨ ولكنه لم يعلم شيء على التحقق عما حصل في هذه الرحلة . على أن عمالاشك فيه أنه وصل إلى الشاطئ الأمريكي وسار صوب الجنوب بحذاء الساحل على يصل إلى سيبانجو التي يعرف أنها في العروض الدفيئة . ولما مرت الأيام تلو الأيام عرف كابت أن الساحل الذي يسير بحذائه ليس في آسيا بل حافة قارة جديدة . ولما فقد الأمل في العثور على طريق يجتاز منه هذه القارة عاد ولم يناصره الملك لأنه استاء منه لعدم عثوره على أرض الشرق . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الملك لم يرغب في إثارة مشاكل مع الأسبان الذين رأى أن يحفظ الود بينه وبينهم والذين غضبوا من أي اعتداء على أراضهم . أدعوها لأنفسهم . على أن كابت أدى خدمات عظيمة لانجلترا وكان بدون شك أول أوروبي زار شواطئ أمريكا الشمالية بعد زمن الفيكنج .

وكان لجون كاهت ولد يدعى سبستيان وقد سافر سنة ١٤٩٩ سائرا في طريق والده ولكنه لسوء الحظ كان ولدا مغرورا ولم تزد المعلومات التي أدلى بها عن معلومات والده وعلم فيما بعد أن بعض التفاصيل التي زادها كانت غير صحيحة . ويخيل اليما أنه سافر معه سفينتان بهما ٣٠٠ بحار وعند ما وصل إلى أمريكا اتجه صوب الشمال ووجدوا كتلا ثلجيا عظيمة الحجم طافية على الماء ، ووجد أرضا أذابت حرارة الشمس في يوليو الثلج من فوقها . وكان الكاشف يبحث عن طريق شمالي أمريكا إلى كاثاي . ولكن صعوبة إيجاد طريق بين الثلج وتمرد البحارة اضطره لتغيير طريقه فاتجه صوب الجنوب وسار حتى وصل إلى الساحل الذي سمي فيما بعد فرجنيا ، ويظن البعض أنه وصل فلوريدا . ومهما يكن الحال فأن رحلته كانت لها قيمتها لأن اعتقاده بوجود المعر الشمالي الغربي كان رأيا أتبعه غيره وكان أساسا لعمل المكتشفين المتأخرين مثل فونشر وديفس وهدسن . هذا إلى أن سياحانه وسياحات والده كانت أساسا لحق أنجلتره فيما بعد في الأراضي الشرقية لشاطئ أمريكا الشمالية قبل أن ترسل حكومة أسبانيا ملاحيا من جزائر الهند الغربية إلى الشمال ليسبقوا الانجليز للسيطرة على أمريكا الشمالية .

الفصل التاسع

فِرْدِنَنْد مَجَلان وأول سفرة حول الدنيا

خطط خلفاء كلبس شاطيء البرازيل ، واستعمر الألمان برزخ بنا ، وتمكن أسباني من رؤية المحيط الهادى العظيم . وتساءل القوم عما إذا كان فى الاستطاعة الوصول إلى هذا المحيط بكشف مجرى ماى يصل مايبته وبين المحيط الأطلسى . واقد كان لمجلان الفضل الأول فى كشف هذا الحرى .

ولد مجلان بالبرتغال سنة ١٤٨٠ من أسرة عريقه وفى سن مبكرة استخدمته الملائكة وصيفائها ، ودخل فيما بعد فى خدمة الملك منويل ، وكان هذا الملك هو الذى أرسل فاسكو داجاما فى رحلته الموقفة نحو الشرق وقد أرسله الملك بعد ذلك فى رحلات كثيرة واحدة فى أثر الأخرى . فبعث ذلك شعور قوى بين الخاطرين للسفر لكشف أراضى جديدة ومن بين هؤلاء كان مجلان : وفى سنة ١٥٠٤ انضم إلى ذلك المدا الذى عين نائباً للملك فى المستعمرات الجديدة فسار الأسطول وساح حول رأس الرجا الصالح ثم حول شاطيء أفريقية الشرقى ثم عبر المحيط الهندى إلى جنوبى الهند وفى سنة ١٥٠٩ سار إلى سومطرة وجزائر الملقا ثم رجع ثانية إلى الهند ودخل فى خدمة ألبوكرك حاكم الهند . وفى سنة ١٥١١ قام برحلة أخرى وهو على رأسها إلى ملقا وليس من المؤكد إذا كان قد

وصل إلى جزائر البهار . وفي سنة ١٥١٢ عاد إلى البرتغال ولكن لم يستقر به المقام إذ اشترك في حرب على المغاربة ولكنه انهم بعد قليل بالانحياز معهم مع مخالفة هذا للقوانين الموضوعه . وكان ذلك سبب نزاعه مع الملك ، وقد بدأ منذ ذلك الحين التحول في خطته . وكان قد عمل فكره طويلا في امكان الوصول إلى جزائر الملقا إذا ما سافر صوب الغرب في المحيط الأطلسي للعثور على مضيق يوصله إلى المحيط الهادي . فقدم مشروعه إلى ملك البرتغال ولكنه رفض الاصفاء اليه فحذا حذو كلبس من قبله ودخل في خدمة ملك أسبانيا شارلوس الخامس وتقدم اليه بمشروعه . وفي سنة ١٥١٨ بعد تأخير طويل اتفق معه على أن يئده بخمس سفن و١٣٥ بحارا ومثونة تكفيهم سنتين على أن تحاول البعثه ارتياد أراضي تملكها البرتغال ، وأن يستولى بجلان ورفاقه على جزء من عشرين من الأرباح ونصيب من التجارة مع الموانئ الجديدة وأن يكونوا حكاما للأقاليم الجديدة . وأخيرا أعدت السفن مع تعليات وثيقة من مقتضاها أن تكون كل السفن متصلة ببعضها بعض في أثناء الرحلة . وكان البحارة خليطا من أمم مختلفة من بينهم الأسبان والبرتغاليين والألمان والفرنسيين واليونانيين والملايين والعبيد ورجل انجليزي واحد .

وقد بدأوا رحلتهم ولكن الكثير من هؤلاء البحارة وعدوا أعداء بجلان بأن يخرجوا عليه بعد قليل من الرحلة . وفي سنة ١٥١٩ غادر شاطيء أسبانيا وابتدأت الرحلة العظيمة . وقبل أن يبرح بجلان كتب وصيته وسلم لملك أسبانيا تقريرا عما ينوي القيام به وقد بين في هذا التقرير الخط الذي

يقفل أملاك أسبانيا والبرتغال في جزائر الهند الشرقية لأن الخط الذي،
عينه البابا لم يبين ماذا تكون الحال لو اجتمع الأسبان والبرتغال في الجانب
الآخر من الكرة الأرضية . وقد أمّل مجالن أن يبرهن أن جزائر ملقا
تكون ملكاً لملك أسبانيا . وسارت السفينة التي عقد له لواؤها من أسبانيا
وتبينها سائر الأسطول إلى تيزيف ومن ثم أبحر الفلك صوب الجنوب الغربي
عبر المحيط الاطلنطي . وكان الجو مكفهرًا وعصفت الزعازع والأعاصير .
فبكي البحارة حتى إذا ما دب اليأس في نفوسهم أرشدتهم العناية الربانية .
وأضاءت لهم سبيل الخلاص ووصلوا إلى شاطئ أمريكا الجنوبية بالقرب
من مدينة برنيسوكو (الجديدة) وصار الفلك صوب الجنوب الغربي .
بمضاء الشاطئ . رغبة في الوصول إلى الجرى المائي الذي كان يعتقد مجالن .
بوجوده وكان في مكنتهم مدة ما للحصول على الفواكه الطازجة وغيرها من
الثلثة من سكان الشاطئ . وأخيراً في سنة ١٥٠٢ وصلوا إلى مصب نهر
دي لا بلاتا وقد ظنوه الجرى المائي المنتظر ولكن بعد بحث قليل اتضح
لهم أن الرأي خاطئ . فاتجه الأسطول صوب الجنوب في جو مكفهر عاصف .
حتى إذا ما وصلوا إلى خط عرض $49\frac{1}{4}$ جنوباً رسا في خليج سننت .
جوليان . وقد كان البحارة بالسفن الأخرى منذ مبدأ رحلتهم يهددون
بشق عصا الطاعة على ربانهم لأنهم كانوا يخشون أخطار الرحلة
ولكن مجالن المملوء حمية وشجاعة وعزماً لم يأبه بهم وأخيراً شبت الثورة .
في يوم عيد الفصح فاحتل إثنان من ربان سفينتيه سفينة أخرى وحبسوا
ربانها ، فأرسل مجالن أحد ضباطه ومعه بعض البحارة إلى السفينة التي .

بها رؤساء الثوار فقتل أحد الضباط الثائرين وهكذا قضى مجلان بسرعة على الثورة ، ولقد قضت السفن شهرين في سنت جوليان لم تر في أثناءها أية إمارة للحياة على شواطئ بتاجونيا الجرداء . وفي إحدى الأيام رأوا رجلا طويل القامة ضخيم الجثة يرقص ويحشو الزى على رأسه فاستطاع مجلان أن يقنع هذا الرجل على الذهاب معه إلى سفينته (ولقد بلغ من طول قامته هذا الرجل أن الرجل المعادي يصل حتى وسطه ، وكان وجهه عريضا مغطى بطلاء أحمر وعيناه مطليتان باللون الأصفر ورسم على صدره صورة لقلابين . وقد ارتدى لباسا من جلود الحيوان مخيطة بعضها مع بعض حياطة متقنة) .

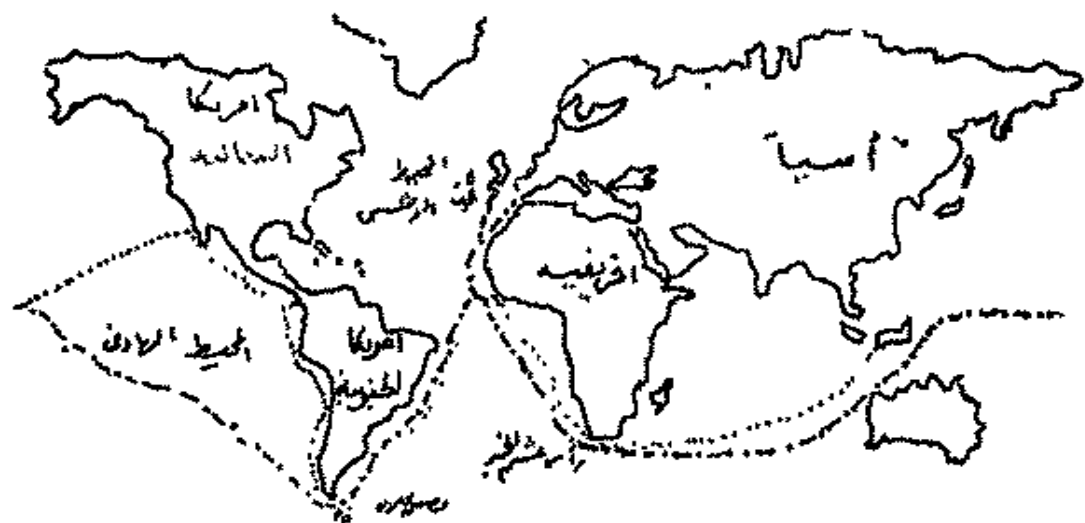
وعند حلول فصل الربيع أرسل مجلان سراو (Cerraو) أحد زملائه المخلصين في السفينة للبحث عن الأمر الجنوبي فوجد مصبا متسعا لنهر فصرف بعضا من وقته في صيد عجول البحر ، ولكن قامت زوبعة أتت على سفينته واستهدف لخطر عظيم لولا أن أحد البحارة استطاع أن يبحر به على رمث إلى مجلان الذي جاء ونجاهم من موت محقق . وقبل أن يبحر مجلان من سنت جوليان في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٢٠ ترك ثائرين على الشاطئ بعد أن قتل رئيس المعصابة . وقد أعطاهما بعض الزاد ولكن لم يسمع عنهما شيء فيما بعد ولولا حزم مجلان هذا ما استطاع أن يلم شعثه ويحسن قيادة رجاله .

وفي ٢١ أكتوبر وصل الرحالة إلى الجري اللأى الذي كان يبحث عنه ولكن اجتيازه كان صعبا لأنه كان كثير التعرج . وفي مبدأ الرحلة

أخذ بعض البحارة يتذمر ويضيق ذرعاً بالعمل ، ونكصت إحدى السفن على عقبها وعادت أدراجها إلى أسبانيا . وكان تحف بالشاطئ ، جبال مرتفعة وجبال تنزلق منها كتل ثلجية على الجوانب ، وفي سفوحها الجنوبية أرض بلقع كانت عليها نيران مشتعلة ولذلك سميت تيرا دلفويجو (أرض النار) .

وفي ٢٨ نوفمبر وصل البحارة إلى المنفذ الغربي للمضيق ودخلت السفن البحر الجنوبي الذي أطل عليه يلبسوا من قبل ، تم أقامت السفن صوب الشمال والشمال الشرق وأخذت تجوب البحار ثلاثة أشهر أو أربعة بدون أن تصادف من الأرض إلا جزيرتين جرداويين ، وطبعاً لم يكن لدى البحارة علم بطول الرحلة أمامهم وكما طالت ازدادت متاعبهم . وكانوا يأكلون البسكويت الذي أصبح دقيقاً ، أكل الدود قوامه ، وحتى أكلوا الجلود التي كانت مستعملة حبالاً للسفينة ، وأكلوا نشارة الخشب والفيران التي دفعوا عنها غالباً لها وانتشر المرض بينهم ومات أكثرهم وبعد ٩٩ يوماً وصل مجلان إلى جزائر لاردون وكان سكانها فقراء ولكنهم أذكىاء ولصوص . ولذلك سميت جزائر اللصوص . ثم وصلت السفينة إلى إحدى جزائر الفلبين وصرفت وقتاً في ارتياد هذه الجزائر . وقد ظهر السكان بمظهر الصداقة وتنصر الكثير منهم غير أنه لسوء الحظ نشبت معركة بين أتباع مجلان وأحد الملوك الوطنيين فقتل فيها مجلان وقد حزن البحارة لفقد قائدهم الذين كانوا يحبونه ويعجبون من شجاعته وقد حرم مجلان من إكمال رحلته حول العالم . واستمرت سفينتان من فلك إلى جزائر التوابل فاستولى البرتغاليون

على إحداهما واستمرت السفينة الأخرى وبها ربيع بحارتها في رحلتها حول
أفريقية حتى وصلت إلى وطنها . وكانت الرحلة شاقة وطويلة وخطرة
فالرياح كانت تعاكسهم في البحر وكانت تصطبج أمواجه وانتشر



المرض بينهم وضايقتهم طول الرحلة الذي وقد اضطروا أخيراً إلى أن يرسوا
بسفينتهم في جزائر رأس فرد التي كانت ملكاً لخصومهم البرتغاليين الذين
أسروا البحارة ولم يفرجوا إلا عن ثمانية عشر وصلوا أحياء إلى أسبانيا
لينبثوا أهلها بأهم عمل في تاريخ الكشف الجغرافي .

الفصل العاشر

(كورتيس Cortes وكشف مكسيكو)

عند ما كان مجلان يعد العدة ويتأهب لخوض غمار المحيط الهادى كانت البعثات الأسبانية تقوم فى أثر بعضها بعض من كوبا إلى سواحل أمريكا الوسطى والمكسيك . فلقد كشفت فلوريدا سنة ١٥١٣ وكانوا يعتقدون أن أرضها قريبة جداً من أرض الخان العظيم ، وأن الأسبان إذا ارتادوا الأراضي وراءها سيصلون إلى أرض هذا العاهل العظيم . فى سنة ١٥١٧ حل قرطبة (Cordova) وهو أحد أتباع كلبس بساحل يوكاتان وأدهشه كما أدهش كلبس من قبله رفى الحضارة وأماراتها بين الأهلىن ، على أنه عندما حاول النزول إلى البرقاومه الأهالى ووقفوا فى وجهه سداً منيعاً فعاد أدراجه إلى كوبا . وفى رحلة أخرى بعد ذلك بوقت قصير استطاع أن يكشف جزءاً من الساحل . ولكن كان لكورتيس (Cortes) الفضل فى إياطة اللثام للعالم عن عجائب المكسيك . وكان كورتيس هذا كاشفاً أسبانياً وجندياً وقد ولد فى سنة ١٤٨٥ أى السنة السابقة لرحلة دياز حول رأس الرجاء الصالح . وكان قد عزم على دراسة القانون ولكنه سرعان ما أبدى رغبته فى حياة النشاط والمخاطرة : فى سنة ١٥٠٤ قام إلى هسبنيولا واشترك فيما بعد فى غزو كوبا نهائياً وهذه مع هسبنيولا وجميكا كانت كل مستعمرات أسبانيا فى الدنيا الجديدة فى ذلك الوقت . وفى سنة ١٥١٩ صحت النية على إرسال تجريدة تحت قيادته

إلى يوكاتان لإنقاذ بعض أسرى الأسبان هناك ومحاولة إنشاء مستعمراً فيها . على أنه قبل القيام بحملته تشاجر مع حاكم كوبا وترك الجزيرة معتقدة أنه إذا عاد إليها فاشلاً كان نصيبه الفضيحة وقد يكون الموت . وعندما نزل إلى يوكاتان قاتل الأهالي واستسلمت له المستعمرة . وبعد أربعة أيام وصلت سفينة ميامس جوان د'ألوا San goen de Allua ساحل المكسيك فجاء إليه بعض الأهالي في قواربهم وسألوه عما إذا كان يزعم الإقامة مع رجاله بأرضهم فأخبرهم بأنه سينزل مع رجاله إلى البر . وعندما نزلوا ساعدتهم الأهالي على إقامة معسكر لهم على الشاطئ وأظهروا لهم كل أمارات الود ، وعما قليل جاءهم سفير من منتزوما Montezuma ملك الاقليم العظيم الذي كان يقطن العاصمة على المضبة . وقد دهش السفراء عندما علموا أن كرتيس قادم من أقوى ملوك الارض ، على أنهم قدموا للاسبانيين عبايات مصنوعة من القطن وبعض المنسوجات الدقيقة ، وحلى من الذهب ، وقدم لهم كرتيس أريكة وبعض حلى من حب الزجاج ، واستعرض أمامهم فروسية جنوده ، وإطلاق المدافع ، ودهش الاسبان عند ما رأوا السفراء المكسيكيين مشتغلين برسم المناظر التي رأوها .

وأخيراً سافر هؤلاء لأخبار ملكهم بما رأوا واستطلاع رأيه في طلب الأسبان مقابلته . ولما كان منتزوما (الذي كان يحترمه الأهالي) جباناً بطبيعته خشى أن يحضر الغرباء إلى وطنه . وكان يعتقد كغيره من سائر أتباعه أن كرتيس ما هو إلا إله يقطن أرضهم وهجرها للذهاب شرقاً معلناً لهم أنه سيعود إليهم مرة ثانية فزاد الملك في هداياه إلى الأسبان وأرسل إليهم فيما

أرسل شمساً مصنوعة من الذهب محلاة بزينة فاخرة ، وقرأ أكبر من الفضة
وطلب إلى السفراء أن يقنعوا الأسبان بأن الطريق وعمر ولا يمكنهم اجتيازه .
ولكن كرتيس لم يكن بالرجل الذي يثنيه ذلك عن عزمه هذا إلى أنه
اعتقد من الهدايا التي وصلت إليه أن الاقليم عظيم الغنى والثروة ، وصمم
على زيارة العاصمة . ولقد أخذ رجاله يثنونه من عزمه ويحضونه على العودة
إلى كوبا ولكنه أقنعهم بالعدول عن رأيهم . هذا إلى أن الهنود القاطنين
على الساحل شكوا إلى كرتيس من ظلم حيازة الضرائب وتوسلوا إليه أن
ينقذهم من العسف والجور اللاحق بهم . وقبل أن يتأهب كرتيس للعمل
نقل معسكره إلى بقعة شمالية أحسن مناخاً ، وكانت هذه مستعمرة قيرا كروز
(أو الصليب الحق) . ولقد اندلع لهيب الثروة بين رجاله فعمد إلى حيلة
طارق بن زياد فأحرق سفنه عدا واحدة منها حتى يقطع عليهم خط الرجعة
ويخضعهم لأمره ، ثم خطب فيهم وأطرب في وصف الفنائم التي سيحصلون
عليها فأثار ذلك حماسهم ولم ينته الاجتماع إلا والكل مصمم على الذهاب
إلى العاصمة . ولم يكن معه عند القيام سوى ١٥٠ رجلاً من ٥٠٠ إذ مات
الباقى متوثرًا بجراحه أو من الأمراض ؛ وبعد أن ترك الساحل غير الصحي
سار إلى الهضبة التي ترتفع أكثر من ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وكان
الجو أكثر لطفاً والأشجار تحاكي أشجار أوروبا . وفي أثناء رحلته هذه كان
يخبر الأهالي بأنه قادم من أعظم ملك في العالم ويخضعهم على ترك عبادة
الأصنام وتضيحة بنى آدم : ووصل الأسبان إلى بلدان مشيدة منازلها تشييدا
فخا ، وكانت يحكمها نواب من منزوما . وقد رفض هؤلاء طلب

المستعمرين للذهب ولم يصدقوا أن هناك ملوكا أكبر من ملكهم . واضطر كرتيس لمحاربة بعض قبائل الهنود وكان نجاحه سببا في ذعر ملك المكسيك الذى طارت نفسه شعاعا من تقدم هؤلاء الأعراب ، فأكثر من إرسال الهدايا ووعد بأن يدفع ضريبة سنوية لملك أسبانيا إذا امتنع كرتيس عن دخول عاصمة ملكه ولكن الغازي أهمل طلبه .

وفي هذا الوقت ثار بركان پوپو كيتيل Popocatepetel وكان الأهالى يعتقدون أن هذا لا يقع إلا عند الإنذار بمخطر داهم فإزداد رعبهم . ولقد أرسل كرتيس بعض رجاله لتسلك الجبل وإخطاره بما يروونه ولقد كان أمرا غريبا أن يخاطر هؤلاء بحياتهم فى عمل كهذا مع أنه أمامهم ما هو أخطر منه ولكنها روح المغامرة هى التى حثت بهم إلى ارتكاب الأهوال فى سبيل الفتح والغزو .

وبعد ثلاثة أشهر من القيام من فيراكروز وصل هؤلاء المغامرون إلى نقطة أشرفوا منها على سهل مكسكو . وكان المنظر الذى راوه أجمل وأروع ما وقع عليه عين الإنسان : فى هذا الوادى كانت المياه متفجرة والأشجار ملتفة الأغصان ، والسهول نضرة بالمزروعات ، والمدن الجميلة منبثة ، والحدائق الغناء منتشرة ، وفى وسط الوادى كانت البحيرات الجميلة ، التى على شواطئها المنازل والقرى وفى وسط السهل قامت مدينة مكسكو الجميلة بمناراتها وهياكلها الهرمية الشكل تركز على صدر المياه . وسارت الحملة فى الطرق المعبدة بين مجارى المياه حتى وصلت إلى مقر العاهل منتزوما . فاستقبلهم ومنحهم الهدايا العظيمة وأظهر رغبة فى إكرامهم ، ولكن بعد بعض أيام لمح القائد

الأسباني عين الغدر بادية من الملك فاحتال عليه حتى أسره وحمله رهينة إلى معسكره ، فاضطر الملك بأن يأمر رعيته بالخضوع لكرتيس نائب ملك أسبانيا الذي أصبح ملكهم الشرعي ، وأمر بجمع الخراج لتقدمه للماخمين . على أنه رغم كل محاولة لتنصير منتزوما رفض أن يقلع عن وثنيته فأثار ذلك غضب كرتيس وأمر بهدم الأصنام في الهياكل وصلى الصلاة الكاثوليكية بها ، بيد أن هذه القسوة أثارت غضب الأهالي فأخذ كرتيس يعين في الأخطار التي جلبها على نفسه من جراء طيشه ؛ هذا إلى أنه سمع أن بعض رجال من خصومه غزا الشاطيء ، ومن ثم صمم على العودة لمحاربتهم . أما بقية قصة كرتيس وعودته إلى مكسكو لقمع ثورة هناك فالتاريخ كفيلا بها . ففي ثناياه نقرأ له بحثا في قوة الأسبان وضعفهم في أساليب حكمهم أرض الدنيا الجديدة . على أنهم بشجاعتهم الفائقة وجراتهم النادرة وصرامتهم وقسوتهم في بعض الأحيان استطاعوا أن يؤسسوا في نهاية الأمر في المكسيك والبلاد المجاورة أسبانيا جديدة درت على الغزاة الخير الكثير .

وفي آخريات أيام كرتيس قام بمدة رحلات بين أوروبا والمكسيك ومنها أرسل حملات كشفية أخرى عديدة في كثير من الجهات حتى وصلت إحداها في سنة ١٥٣٣ إلى شواطئ كاليفورنيا .

افضل الحادي عشر

بِيزَارُو (Pizarro) وغزو بِيرو (Peru)

إن قصة نجاح كرتيس ورجاله في غزو المكسيك حلت رجالا عديدين من الأسبان على الهجرة إلى الدنيا الجديدة فقصدا الكثير منهم إلى مضيق بنما ، وبعضهم كان برقة بلنساو في رحلته الشهيرة التي أشرف منها على المحيط الهادي . ولقد سمع بلباو الهنود الذين يقطنون هذه الجهة يتكلمون عن أقاليم جنوبية تنتج الذهب ، ولما لم يستطع بلباو التقدم بكشفه عن هذه الجهات أخذ غيره العمل على عاتقه ، وكان الرجل الذي نجح منهم في ارتياد هذا الاقليم هو فرنسكو بيزارو : وهو من أهل أسبانيا وكان في مبدأ حياته راعيا للخنازير ، ولكن قصص الدنيا الجديدة والهند أثارت كامن نشاطه وحاسته كغيره من سكان اشبيليه ، وعلى كرزمن أصبح من مساعدي بلباو عند محاولته استعمار دارين . وبعد أن صرف بعض الوقت هناك رحل إلى بنما في سنة ١٥٢٤ ومعه في سفينته بعض الرجال الذين كان همهم الحصول على الذهب ؛ وأبحر الراكب ققطع عدة فراسخ بحذاء أمريكا الجنوبية فواجهتهم أمطار شديدة وعواصف هوجاء . ولقد وجدوا الأرض منطاة بالانابات ولم يستطيعوا اختراقها ، وقل زادهم فتكروا لقائدهم على أنه ما اتفق يتلطف معهم ويعاملهم بالحسنى ، وأخيراً أرسل بعض رجاله في إحدى السفن لطلب القوت . أما هو وبعض الرجال الأخر فساروا في القارة على غير هدى حتى عثروا على قرية هندية ، في جهة ما ، اجتثت الأشجار

من حولها وسمع من سكانها عن مملكة عظيمة بعد الغابة فصمم بيزارو على النجاح ، على أن المطر والمرض أنهك قوى رجاله ولكن السفينة التي كانت أبحرت جلب المثونة عادت وأنجدتهم ؛ وسار الجميع حول الشاطئ متجهين صوب الجنوب فأنقوا الغابة ثقل كثافة فصحت عزيمتهم على النزول إلى البر فصادفتهم قرية هندية كبيرة هجرها سكانها عند اقتراب الأسبان ولكن هؤلاء الهنود هاجموا الأسبان هجوما عنيفا اضطروا على أثره إلى الرجوع إلى سفينتهم التي أصابها العطب مما اضطر بيزارو إلى العودة إلى هنا لإصلاحها وفي أثناء ذلك كان زميل لبيزارو يدعى الحجرو (Almagro) في هنا في انتظار إبحار بناء سفينة أخرى فإذا تم ذلك أقلم صوب الجنوب ليلحق ببيزارو ولكنه لم يعثر عليه وعاد بعد أن وصل إلى نقطة على بعد ٣ درجات شمالي خط الاستواء . ولقد أثار الربانان كثرة الذهب الذي حصلوا عليه من الأهالي فما لبثوا أن عادوا إلى بلادهم حتى أعدوا العدة لسفرة ثانية ، وقد حصلوا على سفينتين و ١٦٠ رجلا بشيء من الصعوبة وعددا لا بأس به من الخيول . ولما كان المناخ معتدلا استطاعت الحملة أن تتجاوز سريعا النقطة السابقة ونزلت إلى البر وحصلت على مقادير أخرى من الذهب أرسلت على إحدى السفن لكي يغري هؤلاء المخاطرون عددا آخر من البحارة للانضمام إليهم . وقد بقي بيزارد في البر وأرسل ربان السفينة الثانية لتقلع صوب الجنوب لارتياح الشاطئ فمرت بجزيرة جالو Gallo فدهشته أمارات التمدن الكثيرة كما دهش كرتيس من قبل عند غزو مكسكو . وبما رآه ضمن غيره من الأشياء قارب كبير تسيره قلاع مصنوعة من نسج القطن وبه كثير من الهنود ،

ولكن مما زاد في دهشته أن أغلب الملابس التي كانوا يرتدونها كانت من الصوف المنسوج نسجا دقيقا وبه صور للطيور والأزهار ومصبوغ بألوان زاهية . ولقد احتفظ الربان ببعض الهنود ليعلمهم اللغة الأسبانية واستمر في سياحته حتى وصل إلى نصف درجة عرضية جنوبا ، ومن ثم عاد أدراجه إلى بيزارو . ولقد تجشم الربان وأتباعه مصاعب جمة ولكن الأخبار التي جاء بها وعودة السفينة الأخرى بالمؤن والرجال شجعت الجميع مرة ثانية ، وأخيرا أرسلت سفينة أخرى لطلب مقدار آخر من المؤنة وظل القائد مع أغلب الرجال على جزيرة جبالو ؛ غير أن هؤلاء أظهروا أمارات العصيان حتى إذا ما جاءتهم سفن الانقاذ تأهبوا للعودة إلى أوطانهم . وعند ذلك أظهر بيزارو عزمه وشجاعته التي اشتهر بها : فسل سيفه ورسم خطين على الرمل من الشرق إلى الغرب ثم اتجه صوب الجنوب وقال يازملائي ويا مواطني : في هذه الجهة التعب والجوع والعري والمواصف الكثيرة والأمطار ، وفي الجهة الأخرى الراحة والسرور . هنا تقع بيرو بثروتها وهناك بينا وققرها فليختر كل رجل منكم ما يحلوه ، أما أنا فذهاب صوب الجنوب ، ثم عبر الخط ف تبعه الربان واثناعشر رجلا وعاد الباقي إلى بينا .

و بعد شيور وصلت سفينة أخرى بالمؤن وقام الأسبان صوب الجنوب فمبروا خط الاستواء ودخلوا ميناء جياكيل (Guaquil) وقد لاحظوا أن الإقليم في هذه الجهة مرصع بالمدن والقرى بين سلاسل جبال مرتفعة ارتفاعا عظيما من الشاطئ ولا تترك أمامها عما يلي الشاطئ إلا واديا صغيرا تجري فيه أنهار قصيرة تحدث الخصب والنماء في الأرض المحيطة بها . وقد قدم الأهالي

للمستعمرين الفاكهة والحبوب وقطيعا من حيوان الألاما (وهي جمال أمريكية يستعملها الهنود) واستمروا صوب الجنوب حتى عرض ٩٠° جنوبا ثم عادوا إلى بنما وقد أهدتهم الغرائب التي رأوها وأخذت منهم كل مأخذ .

وفي الأشهر القليلة التي تلت ذلك زار بيزارو ملك أسبانيا وحصل منه على السلطة التي خولته القيام برحلات للاستيلاء على الممالك التي كشفها . وفي سنة ١٥٣١ أقلع للرحلة الثالثة وكانت آخر رحلاته من بنما إلى بيرو ومعه ١٨٠ رجلا وثلاثون حصانا وعندما وصل شمال خط الاستواء بقليل نزل إلى البر بجنوده مصمما على ارتياد الساحل وسبقته السفن متجهة صوب الجنوب .

وبعد سفر طويل قابلتهم في أثناءه حوادث كثيرة وغنموا فيها كنوزا قيمة وصلوا إلى مصب نهر جواكيل وعلى بعد قليل من الشاطئ أقاموا بها مستعمرة بقي بها عدد من الجنود . ولكن بيزارو كان مصمما على الوصول إلى أرض الإنكا (Inca) حاكم البلاد الغربية السكان الذي سمع عنهم بيزارو في أثناء تجواله على الشاطئ . وأرض الإنكا تشمل الهضبة العظيمة التي تقع بين سلسلة جبال الأنديز الرئيسية والشاطئ . ولقد علم بيزارو بثروة هذا الاقليم وخصوبة أرضه ومبانيه الفخمة فصمم على أن يحدو حدو كرتيس الذي اكتسب ثروة عظيمة من مكسكو . وقد يكون قد سمع أيضا بوجود نزاع بين شخصين من الأهالي يدعى كلاهما الملك . فتأكد بيزارو من موقع العاصمة وسار صوبها ، ولكنه كلما طال السفر ظهرت أموات الضجر والملل والخوف عند الجنود . على أنه خطب فيهم وخيرهم بكل شجاعة بين إنهاء الرحلة أو الرجوع إلى المستعمرة التي أقامها فلم يتبعه غير

تسعة من رجاله ، وبعد بضعة أيام جاء رسول من الإنكا يحمل الهدايا التي من بينها أنسجة صوفية منسوجة بخيوط الذهب والفضة ويؤكد له أن الحاكم مشتاق لرؤيته في عاصمة ملكه ككسمالكا *Saxtawca* في الجهة الأخرى من جبال الاندير . وبعد سياحة جمة الصعوبات استغرقت بضعة أيام أشرف على مدينة كأنها جوهرة على سفوح الجبال السوداء ولكن كان يحوطها خيام سوداء لجنود بيرو فدب عند ذلك الرعب في نفوس الجنود الأسبان في بادئ الأمر ولكنهم صمموا على البلوغ إلى قصدم . أما جنود بيرو فقد أذهلتهم دروع الأسبان اللامعة وخيولهم الفارحة . وعند ما وصل ملك الإنكا الذي كان مشتاقاً لرؤية هؤلاء الغرباء خاطبه مفاجأة باللغة الأسبانية قسيس أسباني طالبا إليه أن يعتنق الديانة الكاثوليكية ولكنه لم يفهمه ورمى إلى الأرض بكتاب الصلاة الذي قدمه له القسيس فانقص عليه الأسبان وقبضوا عليه ، وكان من الممكن أن يقتلوه لولا أن ييزارو آثر أن يستبقه أسيراً ، ولقد دب الرعب في نفس هذا الملك وأمر أن ينزع كل الذهب الذي في معابدهم وأن يقدم للأسبان ، ووعد بأن يملأ الحجر التي سجن فيها بالذهب ، وعندما وصل الذهب قتله الأسبان فأخذ الملع من الأهالي كل ما أخذ وسلخوا دون أن يبذروا أية مقاومة .

وفي سنة ١٥٣٤ استولى ييزارو ورجاله على مدينة كزكو *Cuzko* العظيمة وسمع بنجاح هذه الحملة غيرهم من الأسبان فسافروا إلى بيرو وغزوها كلها كما غزوا شيلي وبذا أسست امبراطورية أسبانية عظيمة في هذه الجهات من أمريكا الجنوبية .

وفي سنة ١٥٤٠ سافر أرنلانو ومعه يادىء الأمر أخو پيزارو وسار في
نهر الامزون مخترقا غابات الانديز حتى مصبه وبدا تسنى اختراق أمريكا
الجنوبية من الغرب إلى الشرق .

الفصل الثاني عشر

الطرق الشمالية الشرقية — دلوى willoughby

وتشانسلور Chancellor

لقد أوضحنا فيما سبق رغبة الانجليز في إيجاد طريق إلى الأقطار الشرقية
غير الطرق التي كانت تحت سيطرة الدول الأجنبية وهي التي حدثت بالانجليز
للبحث عن طريق شمالي غربي . ولكن هذه المساعي فشلت ، فوجه هؤلاء
القوم أنظارهم صوب الطريق الوحيد الآخر وهو حول شمالي الترويج ومن
ثم حول شواطئ أوروبا الشمالية وآسيا ، وعندما دار البحث حول هذا
المشروع كانت المصنوعات الانجليزية آخذة في الازدهار ازدهارا سريعا
لذلك أنصت التجار اليه وصوبوا اقتراح جون كابت الذي كان موجودا
إذ ذاك بانجلترا وهو إرسال بعثة نحو الشمال الشرقي للانجار والبحث عن
أراض جديدة فأسسوا شركة وجهزوا ثلاث سفن كثيرة وقليلًا من السفن
الصغيرة وقامت البعثة سنة ١٥٥٣ تحت إمرة ولوى وتشانسلور ومعها رسائل
من الملك ادوارد السادس إلى الملوك والأمراء وغيرهم من المواهل الذين

يقطنون الأقطار الشمالية من العالم في طريق امبراطورية كشاى (Cathay) العظيمة. وقد أوصت الرسائل الملوك الأجانب بأن يمدوا رعايا ملك الانجليز بكل معونة وأنهم ان يمدوا أيديهم إلى شىء إلا بارادة الحكام وأن يعتبروهم كأنهم رعاياهم وأن يعاملوهم كما يودون أن تعامل رعاياهم لو حضروا إلى بلاد الانجليز.

واقدم حاول السائحون بادىء الأمر أن يزوروا جزائر شتلند ولكن شدة الرياح حالت دون ذلك فعبروا البحار حتى وصلوا إلى جزائر لوفدن المتاخمة لشواطىء البرويج ، وهناك قابلوا نرويجياً فى قارب صغير فنصح لهم بالدخول إلى الميناء والحصول على دليل يرشدهم إلى المرحلة التالية من رحلتهم ولكن اضطراب البحر حال دون ذلك فاضطروا للارتداد نحو البحر وقرقت الرياح السفن أيدى سبأ وسار تشانسور ومعه سفينتان على غير هدى بجذاء الشاطىء الشمالى للبرويج ومر على غير علم منه بالمكان الذى اتفق هو وزملاءه على المقابلة فيه . ويطهر أنه مرّ على نوثازمبلا ودخل البحر الأبيض ووصل إلى شاطىء لايبانتند وقد قضى فيها السائحون الشتاء وقاسوا آلام البرد وصعوبة الحصول على الغذاء المواتق وقد مات كل اصحاب واثوبى غير أنه عثر على السفن الأخرى فيما بعد .

وفى نفس الوقت وصل تشانسور إلى فرُدوس (Verdos) محل المقابلة فى الايلند وقد استقر فيها أياماً قلائل ثم صمم على الاستمرار نظراً لحلول الشتاء وخطورة البقاء فى أثناءه . وقبل أن يبدأ رحلة ثانية قابل بعض الصيادين الايسكلنديين الذين حذروه من المخاطر التى سيلقاها والسكنه لم

ينصت اليهم وسمم على إنهاء الرحلة أو يموت . ولقد تمسس البحارة معه وأقلموا حتى وصلوا إلى محل ليس به ليل ودخلوا البحر الأبيض فوجدوا بعض الصيادين الذين أرهبتهم السفينة الكبيرة وحاولوا الهروب ولكن حسن معاملة تشانسور هدأت من روعهم فأظهر الأهالي عطفاً عليهم وأمدوهم بالغذاء ولكنهم امتنعوا عن الاتجار معهم إلا برضاء العاهل وأرسل الأهالي رسولا إليه يستنصحوه في شأن هؤلاء الأجانب فأمر الرسول بإرسال هؤلاء الأجانب إلى مقر العاهل ، ولكن السياح استبطنوا الرسول وساروا نحو مقر الملك وكانت رحلتهم شاقة استعملوا فيها المزالق في وقت كانت فيه الأرض متجمدة ؛ وفي أثناء الرحلة قابلوا الرسول . وكان جواب العاهل ذا أثر حسن في نفس المسكوفيين الذين أحسنوا معاملة السائحين وأولوا لهم الولائم الفخمة .

وأخيراً أخذ تشانسور خطاب الإمبراطور إلى ملك الانجليز وقد جاء فيه أن إمبراطور المسكوف يرحب بالأمة الانجليزية ويسمح لكل سفينة أن تزور ثغور بلاده وأن تحمل المتاجر وغيرها من بلاده وتتجر مع أهلها بدون عائق أو خطر ما .

وكان من تأثير تقرير تشانسور الحسن عن رحلته أن أرسلت الشركة حملة أخرى في سنة ١٥٥٥ وأشأت لها وكالات في جهات عديدة من روسيا . وكان غرض الوكلاء الحصول على أرباح كريمة للشركة التي تكفلت بمصاريف الرحلة . وقد عهد إلى أفرادها أن يبذلوا كل جهدهم لينفذوا من روسيا إلى مملكة كاثاي (Cathay) وأن يتعرفوا مآل السفن

الإنجليزية الأخرى ، وكانت الرحلة موفقة وقضى تشانسور الشتاء التالي بروسيا وعاد أهم رجال الرحلة إلى إنجلترا . ثم أرسلت تجريدة أخرى في سنة ١٥٥٦ ووصلت إلى ساحل لابلند حيث عثرت على بقايا سفن ولوبي . وجاء تشانسور من روسيا وقابل أصدقاءه وبعد تبادل السلع التجارية سافر على إحدى السفن مع سفير من أمبراطور الروس ، وكان بالسفينة الشمع والزيوت والشحم والفراء واللباد والفزل وما شابهه مما بلغت قيمته حوالي عشرين ألف جنيه ، وكذلك اصطحب معه ١٦ روسياً كانوا يقومون بخدمة هذا السفير . ونزلت بالمسافرين كارثة فحسروا سفينتين من سفنهم الأربع على شاطئ اسكتلند ولم تصل السفينة الثالثة نهر التمز إلا بعد انقضاء شهور عدة . وأما الرابعة وكان على ظهرها السفير فأصابها العطب على شواطئ اسكتلندا وهلك الربان واستولى الاسكتلنديون على حوتها . وقد وصل السفير آخر الأمر إلى مدينة لندن وقابله أهلها استقبالا حسناً وكذلك الملك فيليب وقرينته الملكا ماري وكانا يحكمان وقتئذ . وقد توطلدت الملاقة بين إنجلترا والروسيا .

والعمل على إتمام التجارة مع روسيا والعوائق التي قامت في سبيل الملاحة حول شمال الدنيا القديمة — كل ذلك كان من شأنه منع التقدم في حل مسألة الطريق الشمالى الشرقى . ولقد وصل ملاح أو اثنان من المخاطرين إلى نقطة أبعد مما وصل اليها ولوبي ، ولسكن ظلت الحال كما هي سنة ١٨٩٧ حين شقت سفينة تجارية طريقها في هذا الاتجاه حتى وصلت إلى المحيط الهادى .

الفصل الثالث عشر

جون هوكنز (Hawkins) ورحلات دريك (Drake) الأولى

(انظر خريطة - شكل ٩ للمقابلة صفحة ٣٥)

ان غزو الأسبان للدينا الجديدة وإستعمارهم لها كان من شأنه أن توطدت التجارة بين أقطار هذه القارة وأسبانيا وامتلات خزائن هذه المملكة بكنوز أمريكا ، وصدرت الأوامر بالألا يفيد من هذه الكنوز أو التجارة مع هذه الأقطار غير الأسبان .

ولم يتخذ الانجليز من الأسباب مايساعد على توطيد أقدامهم في الدينا الجديدة منذ رحلة آل كبت (Al Cabots) وكانت قد اتحمت أنظارهم نحو جهات أخرى مثل أقطار البحر الأبيض المتوسط التي كانت تدر عليهم من الخيرات مايجزيهم من المشاق التي يتكبدونها . هذا إلى أنه نظرا لاعلاقات الحسنة التي كانت قائمة بين ملكي انجلترا وأسبانيا فان الرحالة الانجليز كانوا يتحاشون ما يكدر صفو ملك أسبانيا . على أنه يصعب دائما أن تحصر التجارة في دوائر خاصة لاسيا عندما يعرف التجار بقاعا جديدة مبشرة بالخير ، وقد وجد الأسبان صعوبة في الحصول على عمال للعمل في مزارع قصب السكر في جزائر الهند الغربية ، وكان من جراء ذلك أن قام في نفس هوكنز أن الاتجار بالعبيد يكون ذا قيمة عظيمة ، وكان يعلم بوجود الكثير من هؤلاء على سواحل غانه بأفريقية فصمم على الأخذ بتجارة الرقيق بين أفريقية والمستعمرات الأسبانية . وفي أول رحلة في سنة ١٥٦٢ استطاع أن

يحصل بالقوة أو بوسائل غيرها على ٣٠٠ من الزوج قايض بهم في جزائر الهند الغربية بالجلود والزنجبيل والسكر وبعض اللآلى ، وأرسل بعض الجلود للدنغ إلى أسبانيا ولكن أرباب السلطة هناك منعوا الإبتجار مع الإنجليز . وفي سنة ١٥٦٤ قام هوكنز برحلة ثانية . وفي هذه المرة وجد صعوبة في اغراء اسبان فنزويلا على الإبتجار مخافة غضب الحاكم . ولكنهم لم يكونوا جادين في هذا الامتناع لأنهم كانوا راغبين في العبيد . على أنه رحل الى جيمكا وبحر الكريب وتخلص من هؤلاء الأرقاء ، ومر على سواحل فلوريدا والتقى بجماعة من المستعمرين الفرنسيين . وعندما غادر هذا الساحل دفعت سفينته الرياح الغربية فسارت متجهة صوب الشمال الشرقى ازاء شاطئ أمريكا الشمالية حتى نيو فونلند ومن ثم سارت إلى أوروبا وهذه أول مرة سافر الإنجليز فيها بحذاء الولايات المتحدة .

وكان أهم رحلاته الرحلة الثالثة التي قام بها في سنة ١٥١٧ وفي هذه المرة وجد صعوبة في التخلص من عبيده وتأخر بسبب ذلك كثيرا حتى جاء موسم الأعاصير قبل أن يبارح منطقة الخطر فالتجأت سفينته إلى سان جواند دي ارالوا على شاطئ المكسيك . وقد كان فرنسيس دريك Francis Drake أحد ربان أسطوله الصغير وكان معقودا الواؤه للسفينة چودث Judith وكان قد قضى مدة تمرينه على ظهر سفينة كانت تمخر بمتاجرها عباب بحر الشمال ثم انضم إلى فريق البحارة الإنجليز الذين كانوا يتجرون على الشاطئ الغربي لإفريقية وجمع بذلك ثروة طائلة . وعندما قام هوكنز برحلته الثالثة انضم اليهم دريك على سفينته چودث .

وكان الأسبان المستعمرون للقارة الأمريكية في سن جوان منتظرين أسطولا أسبانيا ولذلك اشتد بهم الأمر عندما واجههم الإنجليز ، ولكن هوكنز هذا من روعهم ولم يطلب منهم سوى المواد الغذائية ؛ وكانت بالميناء سفن مملوءة بالسكنوز ولكنه لم يستول عليها وأرسل إلى حاكم مكسيكو يطلب إليه الترخيص بأن يستجم وقتا ما ويحصل على المثونة ؛ وبعد ذلك بقليل ظهر أسطول أسباني قوامه ثلاث عشرة سفينة على أبواب الميناء فرفض هوكنز السماح له بالدخول إلا إذا امتنع عن مهاجمة الإنجليز . غير أنه بعد أن رخص لهذه السفن بدخول الميناء لم تلبث أن هاجمت السفن الإنجليزية وبعض البحارة الذين كانوا في أرض الميناء ففرت سفينة دريك وأخرى ، واتجهت هذه السفينة إلى إنجلترا . أما الأخرى فكانت حوائها أعظم من طاقتها فأنزلت نصف رجالها إلى الشاطئ ، وسارت بعد ستة أسابيع من شاطئ فلوريدا إلى شاطئ أسبانيا ومن ثم إلى خليج مونت في كرنوول في سنة ١٥٦٨ بعد أن مات الكثير من رجال هوكنز واستشهد عدد عظيم منهم مما قاسوه من الأهوال . ولكن هذه الرحلات أكدت اشتراك الإنجليز إشتراكا سلميا في تجارة الغرب . ومن ثم اشتبك البحارة الإنجليز والبحارة الأسبان في نضال مستمر في الدنيا الجديدة .

ولقد فقد دريك الكثير من ثروته الضئيلة في مناوأة السفن الأسبانية في سن جوان . وعندما عاد إلى إنجلترا قص المظالم والإضطهاد الذي قاساه الإنجليز من الأسبان ولذلك أثار شعورا سيئا ضدهم ، وصمم دريك حينئذ على مهاجمة المستعمرات الأسبانية لينتقم لنفسه : فقام برحلتين إلى جزائر

الهند الغربية ثم عاد ليتخذ الأهباء للهجوم على برزخ دارين في قلب هذه المستعمرات .

في سنة ١٥٢٧ أبحر ومعه سفينتان وعدة زوارق مدرعة مفككة الأجزاء يسهل تركيبها عند الإقتضاء ، وعندما وصل إلى الشاطئ نزل في نقطة ملائمة وبني قامة واحدة وأخذ في تركيب أجزاء الزوارق . ولقد سمع دريك أن الكنوز الأسبانية من بيرو تحمل من الشاطئ الغربي إلى الشاطئ الشرقي عند برزخ دارين ومن ثم تحمل على متون البنغال إلى الشاطئ وهناك توسق على السفن إلى أسبانيا ، فصمم دريك على اقتناص الكنوز عند وصولها إلى ثغر نبردي ديوس (Nombre de Dios) على الشاطئ الأطلسي ، وعندما وصل إلى هذا الشاطئ طرد أكثر الأسبان الذين أصابهم الملح من جرأته واقدامه وكان على وشك فتح مخازن الكنوز في المحلة لولا أنه جرح في أثناء هذه المحاولة ؛ ولما كانت حياته عند البحارة أغلى من الكنوز نقله رجال إلى ظهر السفينة . وفي الأسابيع التالية استولى البحارة الإنجليز على سفن أسبانية كثيرة وأمنوا في سلب الكثير مما في المحلات الأسبانية بالرغم من جهد الأسبان ومحاولتهم منعهم من ذلك واستماتتهم في الدفاع عنها . ولقد كان يقطن بداخل القارة قبيلة هندية كان رجالها أعداء اللداء للأسبان الذين طالما ساموهم الخسوف وأنقلوا كاهلهم بالمظالم فتقدم إليهم دريك طالبا مودتهم فصادقوه ووافقوا على تنفيذ أغراضه . وبمسد فترة طويلة من الزمن أخبر هؤلاء الهنود دريك ؛ بأن الأسطول الذي يحمل كنوز الأسبان مستقرا في محلة نبر داديوس ولا تلبث أن تأخذ الغنائم

والكنوز طريقها إلى البرزخ فصمم دريك على اقتناص هذه الثروة وهو في هذه الرحلة : فقام دريك ومعه عصابة من خمسين رجلا من بينهم ثلاثون من المنود لتنفيذ هذه المهمة الشاقة ؛ وكان الطريق في درب متصاعد يتخلل أجمات جميلة . وفي إحدى مراكز الطريق صعد على شجرة ورأى شاطئ المحيطين الأطلسي والهادي فقام في نفسه أن يبهر بسفينته إلى هذا المحيط العظيم وآلى على نفسه أن ينفذ ذلك يوما من الأيام .

وبعد وقت قصير وقت حملته عند مركز استطاع فيه أن يكمن ويترصده قطار البغال ولكن أحد رجاله تسرع فاستشعر الأسبان بالخطر وفروا بكنوزهم إلى بنما ولم يرسلوا إلا اتاناه منها على ظهور البغال تتكدر دريك غير أنه هجم على قطار آخر من البغال بالقرب من نهر دي ديوم واستولى على مقدار عظيم من الكنوز ووجد أنه حصل على ما يكفيه مؤقتا فماد ادراجه إلى إنجلترا بالسفينتين الباقيتين من سفنه ووصل إلى أرض الوطن في ١٩ أغسطس سنة ١٥٧٢ واستقبل استقبالاً طيباً من أصدقائه ومواطنيه . ولكن الملكة لم يرق لها عمله لأنه عمل سيجمل العلاقات متوترة بين مملكتها وأسبانيا . وبعده أربع سنوات نال فيها الأسبان من السفن الإنجليزية الشيء الكثير وأصابوا الكثير من سفنهم بالدمار استشاطت الملكة غضبا ووافقت على أن يجوب دريك بأسطول صغير المحيط الهادي ويهاجم المدن والسفن الأسبانية فلم يوافقها وزراؤها ، ولكنها عاوتت دريك سرأ وتبرع غيرها بالمال لتشجيع المشروع وحصل دريك على السفن للسفرة الثانية التي كان يأمل فيها منذ أن رأى المحيط الهادي على قمة الشجرة في برزخ دارين .

الفصل الرابع عشر

رحلة دريك حول الدنيا

(أنظر الخريطة المواجهة لصفحة ٥٧)

أبحر دريك من نثر پلث* في ١٥ نوفمبر سنة ١٥٨٧ وكان معه سفن أربع وزورق صغير مدرع ، وكانت السفرة غير موقسة في مبدئها إذ نزلت بها عاصفة هوجاء عند ما صار في عرض البحر فاضطر للعودة إلى نثر پلث لإصلاح ما أفسدته العاصفة وتأخر ثلاثة أشهر ثم استأنف سفرته ؛ ووصلت الحملة بعد ١٢ يوماً إلى شاطيء مراکش فأظهر له الأهالي حسن اللودة ولكنهم احتالوا على أمر أحد البحارة الأنجليز . وسار الأسطول الصغير جنوباً بمحذاء شاطيء أفريقية حتى وصل إلى جزائر رأس فرد فاستقر فيها قليلاً حتى تمتع الرجال بكرومها وفاكهتها التي لا تنقطع طول العام لشدة حرارة جو إقليمها . وقد عثروا على الكثير من هذه الجزائر . واستمر الأسطول حتى وصل إلى خط الاستواء وهناك ظل ما كنا مدة ثلاثة أسابيع ولكن كان عرضة الأعاصير والكثير من الرعد والبرق والمطر . وقد ظل الركب مدة أربعة وخمسين يوماً بدون أن يرى أرضاً وأخيراً وصل إلى شاطيء البرازيل عند خط عرض ٣٣° جنوباً وهنا حاول الأهالي تدمير الأسطول مستعينين بالتعويذات وبالقرى للشياطين . ثم أبحر صوب الجنوب حتى وصل نهر بلت (Plate) وحصل فيه على

الماء العذب . وعلى بعد أميال منه وصل إلى ميناء جيد كثرت فيه عجول البحر وبذا وصل دريك إلى شاطئ بتاجونيا . واقد أظهر الأهال سرورهم بتقدمه بالرقص والوثب وتناولوا السلع التجارية ولسكنهم لم يستسيغوا تسل شيء من يد رجل بل صمموا على رميها إلى الأرض قبل التقاطهم لها .

وعند ما وصل إلى ثغر سانت جوليان قضى فيه فصل الشتاء واضطر للتحقيق في سلوك أحد ضباطه من جماعة رفاقه الرئيسيين . ولما ثبتت إدانته أعدم . ولولا أنه فعل ذلك لباغت رحلته بالفشل والخسران . وبعد أن أقام شهرين بهذه الجهة ونقصت سفنه إلى ثلاثة أبحر صوب مضيق مجلان ووصل إليه بعد ثلاثة أيام . واقد وجد المضيق كثير الأعوجاج عميق المياه ولاقى صعوبة للرسو فيه . وصادتهم جزيرة بها الكثير من الأوز فنقلوا منها ما يقرب من ٣٠٠٠ أوزة في أقل من يوم واحد لغنائهم .

وصل إلى بحر الجنوب South Sea بعد ستة عشر يوماً وسارت سفينته تؤم السفن الأخرى إلى المحيط الهادى وهنا ظهر الجو مضطرباً وهبت أعصار أغرقت سفينة أخرى ومن بهما وعادت سفينة حتى وصلت إلى جزيرة تيرا دنفويجو . وضلت سفينة عن بقية الفلك ورجعت إلى إنجلترا .

ولسكن دريك صمم على إنهاء الرحلة ولو بقيت لديه سفينة واحدة ، فصار صوب الشمال بمذاء ساحل شيلي وأخيراً كان يخشى المنود من أهله من الأسبان ويمقتونهم ، وقد سمع منهم أن الأسبان سفنا مشحونة بالكنوز راسية في ثغر فلنبريزو فأقلع صوبه ووجد الفلك في أيدي جماعة صغيرة من البحارة فغلبهم على أمرهم واستولوا على الكنوز دون كبير مشقة لأنه

لم يكن يدور بخلد الأسبان ظهور الإنجليز بالقرب من الشاطئ . ولقد فر
الأسبان الذين بالمدينة عند ما رسي دريك . وبعد أن حصل على الكنوز
أبحر صوب ثغر لهما بمساعدة بحار يوناني كان يقطن تشيلي . ولقد استولت
السفينة على الكثير من الخمر والذهب مما أغرى الإنجليز بالسوفى جهات
كثيرة من الشاطئ . ولقد هاجمهم الأسبان في جهة ما ولكنهم في جهة
أخرى وجدوا أسبانياً نائماً وبجانبه ثلاثة عشر قضيماً من الفضة . وفي محلة
أخرى استولوا على ثمانية جمال أمريكية محملة بالفضة . وفي أريكا وجدوا
ثلاث سفن بدون بحارة لأن هؤلاء نزلوا إلى البراطمثنانا منهم إلى عدم
وجود رجال آخر من المستعمرين ، وفي ليا وجدت اثنتي عشرة سفينة محملة
بصفايح الفضة ومنسوجات من الحرير والكتان . وهنا سمع أن سفينة أسبانية
محملة بالكنوز قد أبحرت شمالاً صوب برزخ بنا نجد في السير حتى أدركها
واغتصب ما فيها من الكنوز الكثيرة إذ عثر بها على جواهر نفيسة وثلاثة
عشر صندوقاً مملوءة بصفايح الفضة وأربعة عشر رطلاً من الذهب وعشرين
طلاً من الفضة .

وبعد أن اقتنص سفناً أخرى وأقرغ ما في خزائنها شعر بأنه انتقم
انتقاماً كافياً من هؤلاء القوم وفكر في العودة من طريق مضيق مجلان
ولكنه خاف من أن يجد الأسبان له بالمرصاد وخاف من الزعازع
والأعاصير التي تهب عليه فصمم على أن يعبر المحيط الهادي قاصداً جزائر
التوابل ومن ثم يقصد رأس الرجا الصالح ثم بلاده . فسار صوب الشمال
حتى تساعده الرياح في رحلته واستمر ستة أسابيع . وكان الجو بارداً مضيقاً

وأخيراً وصل إلى شاطيء منخفض مستو به فجوة صالحة وهذا هو موقع مدينة سن فرنسكو الحالية ، وهو أبعد شمالاً من أى مركز وصل إليه الأسبان ، ولقد رحب الأهالى بالبحارة وخضع الملك لدريك وسمح له بأن يستولى على الإقليم باسم ملك انجلترا وسمى الإقليم الجديد نيو ألبيون New Albion ووضع أمارات للدلالة على وجوده به ، وأخيراً ترك هذا الإقليم وسار عبر المحيط الهادى مدة ستين يوماً وصل بعدها الى جزائر الفلبين التى قتل فيها مجلان . ثم غادرها دريك الى جزائر الملوك أو القوابل فرحب به أحد ملوكها ونمى رعاياه البحارة بهدايا من الأوز والدجاج والسكر والموز والقرنفل وقد زار دريك الملك فوجد إمارات تدل على الثروة العظيمة . ووجد وكلاء التجار جنوبى أوربا مقيمين بالأقليم . ولكن دريك رحل منه رغم ما به من الأغراء والفتنة واخرقت سفينه الضايق على صعوبتها وذلك بفضل الملاحه الوطنيين . ثم سار صوب الجنوب حتى وصل الى رأس الرجاء الصالح ، ثم غادره سائراً بمحذاء شاطيء افريقية الغربى حتى وصل سيراليون على شاطيء غانه .

وفى ٣ نوفمبر سنة ١٥٨٠ وصلت السفينة الى نهر پليميث بعد ثلاث سنوات من مبدأ رحلتها فأنعمت عليه الملكة بلقب فارس . فكان أول انجليزى ساح حول الدنيا .

الفصل الخامس عشر

مرتين فروبشر (Martin Frobisher)

بعد أن فشل جون كابت في كشف طريق إلى آسيا بواسطة ممر في شمال شرق المحيط الأطلنطي لم يحاول أحد استئناف هذا الكشف على أن الأمة الإنجليزية ما برحت ترمق بأنظارها إلى السير في الطريق الذي سلكه دلوبي واتشانسيلور وغيرها لإيجاد سبيل إلى أرض كاثاي . وفي سنة ١٥٧٤ وضع سير هنري جلبرت كتابا برهن فيه على إمكان الوصول إلى هذا الأقليم من هذا الطريق . وبعد ذلك بسنتين حاول مرتن فروبشر ، وكان من الذين ارتادوا شاطئ أفريقيا الغربية أن يثبت صحة ما ذهب إليه جلبرت .

وقد رحبت الملكة بما رآه وأمدته بسفینتين وزورق مدرع . فأقبح في يونية سنة ١٥٧٦ ومر بجزائر أركنى وشتلند . وفي ١١ يولية أبصر شاطئ آخر هو شاطئ لاسبرا دورولسكنه تعذر عليه أن يصل إلى الأرض لتراكم الثلوج . ولقد فقد زورق بسبب الضباب وفرت إحدى سفنه راجمة إلى البحارة وزعم بحارتها أن فروبشر وسفینته الأخرى ضلوا الطريق . ولكن فروبشر سار صوب الشمال الغربي ووصل إلى نقطة لم يصلها أحد قبله وهي الشاطئ الجنوبي الشرق من أرض بفين Baffin land فظن أنها جزء من آسيا وسار في مضيق سماء باسمه ثم صعد جبلا ورأى أشباها ظنها في أول الأمر عجول البحر . غير أنه عند ما اقترب منها وجدهم جنودا في قوارب

صغيرة من أديم هذا الحيوان فحاول مقايضتهم بأجراس ومرايا وجلود عجول البحر ولكنهم كانوا أناسا شيمتهم الفدر لأنه عندما أنزل خمسة من رجاله إلى البر اقتنصهم هؤلاء الهنود ولم يسمع عنهم شيء فيما بعد . ولقد صمم فروبشر أن يأسر أحداً من هؤلاء أمارة كشفه فاحتال في أسر رجل ولكنّه حاول الهروب ولما امتنع عليه ذلك قطع لسانه بأسنانه عله يموت ولكنّه ظل حياً حتى وصل إلى انجلترا غير أنه مات من برد أصابه في أثناء الرحلة .

وعاد فروبشر إلى انجلترا سنة ١٥٧٦ وهناك الجميع على نجاح رحلته . وقد جمع معه بعض أشياء ذات أهمية منها حجر ثقيل ظهر عند فحصه أن به بعض حبيبات الذهب فأحدث ذلك ثوراناً في الأفكار وألح عليه الناس في السفر مرة ثانية لطلب مقادير كبيرة منه . فتأهب لرحلة أخرى وسار في مايو سنة ١٥٧٧ قاصداً نفس الاتجاه إلى مضيق فروبشر ماراً بجنوب جرينلاند فأدهشته كثرة السمك في هذا البحر . وبعد أن تأخر قليلاً بسبب الثلج وصل إلى الأرض التي تحف بالمضيق وجمع كمية كافية من الأحجار السالفة ، واستولى على الأرض باسم مملكته ، وقد ضايقته أعاصير شديدة عادت بسببها إحدى سفنه إلى يرمُث ووصل هو بسفينة أخرى إلى لندن .

ولقد صحت عزيمة القوم على أن يقوم فروبشر برحلة ثالثة بقصد استعمار الأرض الجديدة فقام معه خمس عشرة سفينة وبعض المتطوعين

الذين رغبوا في استعمار هذه الأرض . فقامت الرحلة في مايو سنة ١٥٧٨ ووصلت في أول يولييه ، ولكن سوء الأحوال الجوية أضلته عن طريقه الأول فدخل خليج هدسن وكشف بالمصادفة الطريق السوى الذى يصل إلى أرض كثنائى . وعلى كرا الأيام كشف البحارة طريقهم إلى مضيق فروبشر بعد أن خسر الكثير من سفنه وأخذ الكثير من تلك الأشجار ثم قفل راجعا إلى بلاده بدون أن يبقى لكشف جديد .

وعند ما وصلت السفن التى شردتها الرياح إلى لندن اتضح أن الأشجار التى جلبها عديعة القيمة واعتبر عمله من الوجهة العملية عديم الفائدة .

واقدم حاول بادىء بدء أن يكشف مسألة جغرافية ولكن الحصول على ماظنه الثروة حاد به عن هذا الطريق وكان شأنه فى ذلك شأن الكثيرين ولكنه برهن على شجاعته وجلده بوصفه كاشفا وأضاف الكثير من المعلومات عن الشمال المتجمد .

أفضل السنين

الممر الشمالي الشرقي

ديفيس Davies وهدسن Hodson وبنف Baffin

جون ديفيس

ولو أن فروبشر لم ينجح في غرضه الأساسي من كشف طريق شمالي
قربى إلى كينساي فإن الكثير من التجار الانجليز كان يعتقد في إمكان النجاح
وأخذ تجار لندن يهتمون بالأمر وحصلوا لديفيس على امتياز يخوله البحث
عن هذا الطريق وكشفه وقام بأغلب النفقات المماثلة لرجل من أغنياء التجار
يدعى سندرْسُن .

السفرة الأولى

غادر ديفيس إنجلترا في سنة ١٥٨٥ ووصل إلى ساحل جرينلاند بعد
أن عبر المحيط الأطلسي ودهشته كثرة الأسماك المتنوعة التي قابلته . ولقد
وصف جرينلاند بأنها أرض صلبة صخرية وتغطي قمم جبالها الثلوج كما أن
هذه الثلوج تغطي سطح البحر لأميال بعيدة ووصف أرضها بأنها بلقع
خراب صفصف . وبعد أن سار ديفيس حول الرأس المسمى فيرويل
Farewell اتجه شمالاً حول الشاطئ الغربي لجرينلاند حتى وصل إلى خط عرض
٦٤° شمالاً وهنا وجد مضيقاً مائياً سماه مضيق جلبرت وعند ما وصل إلى
البر عثر على آثار سكان وصفهم بأنهم ذئاب عرايا الأجسام . وقد أشفق

الأهالى منه بادية بدء ولكنهم آانسوا بالبجارة فيما بعد وفايضوم السكاكين
والمسامير بالفراء والجلود . ولما علم المستكشف من السكان أن بحراً عظيماً
يتمدد في الشمال الغربي قصد مؤملاً أن يصل إلى كئشى ، ولكنه وجد
مضيقاً مائياً سمى فيما بعد مضيق كمبر لقد كان يظنه بقيته ولكنه وجد
الوقت متأخراً فعاد إلى لندن وقدم تقريراً بنجاح مهمته .

السفرة الثانية

قام تجار إكستر بتجهيز هذه السفرة وقد قام بها في سنة ١٥٨٦ و بعد
أن وصل إلى مضيق ديفس شاهد تيار مائياً جملة يعتقد بوجود طريق يمر
بخليج كمبر لند فسار على مسافة كبيرة من الساحل مستكشفا واصطاد عدداً
عظيماً من السمك المعروف بالكود God وكانت نتيجة هذه السفرة على
جانب عظيم من الأهمية إذ استكشف كثيراً من الفجوات المتسعة في الغرب
وارتاد كذلك قسماً عظيماً من الساحل .

السفرة الثالثة

وصل ديفس في هذه السفرة إلى مضيق جلبرت ثم سار نحو الشمال
متتبعا ساحل جرينلند إلى أن وصل خط عرض ٧٢° شمالاً ثم شاهد رأساً
عالياً سماه رأس سنـدرسن ، ثم عبر المضيق ووصل إلى الساحل الغربي ورأى
جبل رالى وكشف خليج كمبر لند ثانية ومضيقاً عظيماً هو في الحقيقة مضيق
هدسن ثم سار صوب الجنوب وتبع سواحل لبرادور الشرقية .

وكان ديفس أكثر علماء وخبرة من كل مستكشف آخر فكشف جميع البحار والسواحل كشفاً دقيقاً ودونهاى الخرائط ، وتتمتع ساحل جرينلاند الشرقى والساحل الغربى . وقد جمع كثيراً من المعلومات الخاصة بطبيعة الأرض والبحار بتلك الأصقاع . وقد أنبأنا نبأ صحيحاً عن أصل الجبال الثلجية وراقب معيشة الحيوانات على اختلاف أنواعها واستكشف ثلاثة خلجان غربية أحدهما مضيق هدمن الذى يصل إلى مضيق بيرنج ولذلك فهو طريق شمالى غربى . واقد قال ديفس أن هناك أربعة خيران يمكن اعتبار أى واحد منها طريق شمالى غربى وقد ثبت قطعياً منذ ذلك الحين . أن اثنين منها يكونان طريقاً شمالياً غربياً . ولقد استكشف أيضاً ساحل لبرادور ورسمه رسماً تخطيطياً . وأما نتائج سفراته العلمية فهى الارشاد إلى وجود مصايد للحيتان وعجول البحر (التى تجود بربح عظيم) فى مضيق ديفس ، واستعمار جزيرة جرينلاند نهائياً .

هنرى هَدسن

اقتنى هَدسن أثر ديفنس فى كشف الطريق الشمالى الغربى ، وقد قام بعدة سفرات فسافر شمالا صوب جرينلند الشرقية وبرهن على استحالة وجود ممر مائى غير متجمد بين الأرض وسبتزبرجن واسكنه أرشد مثل سلفه عن وجود مصايد للحيتان وعجول البحر .

وفى سنة ١٦٠٨ زار نوفازمبلا وحاول أن يجد طريقاً شمالياً شرقياً وهو الطريق الذى فشل فى إيجادهِ ولوبى وتشانسلور من قبله واسكنه لم ينجح أيضاً . وفى السنة التالية استخدمته (الشركة) الهولندية التجارية الشرقية فأرسلته إلى نوفازمبلا مرة ثانية ومن ثم أقلع غرباً إلى شاطيء أمريكا الشمالية وسار جنوباً وكشف نهر هَدسن الذى تقع عليه نيويورك الآن وكانت تسمى نيو امستردام من قبل ، وكان هذا أساساً المستعمرات الهولندية الأمريكية التى استقرت عليها أنجلتره مدة حكم شاراس الثانى .

وفى سنة ١٦١٠ أمر هَدسن بترك خدمة هولندا وطلب إليه أن يبحر لكشف البحر الجنوبى واسكنه فشل بسبب سوء سلوك بحارته ورجع وفى طريقه وصل إلى إيسلند وقد حصل على مئونة من هناك وأداه شغفه بأن يبعث عن الأرض التى رآها من قبل . ووصل إلى شمالى ابرادور ودخل بعد أيام إلى خليج هَدسن ثم سارت السفينة جنوباً وكانت المياه متجمدة وقل الزاد فثار عليه البحارة ووضعوه هو وأباه الذى كان معه فى قارب وتركوه فى عرض البحر ولم يعلم شيئاً عنه فيما بعد .

وليم بفن

شرع وليم بفن في الاستكشاف عام ١٦١٤ ليتم ما قام به ديفس؛ فسار من رأس عشم سندرسن نحو الشمال واستكشف جزيرة من جملة جزائر تسمى جزائر بفن واستمر في سفره نحو الشمال حتى مضيق ديل ثم سار غربا إلى أن وصل إلى مدبح من الماء سماه مضيق جونس ومضيق آخر في جنوب يسمي مضيق لنكستر، واستمر في السير جنوبا واخترق مضيق ديفس ورجع إلى انجائه. وكانت نتيجة هذه السفارة استكشاف خليج بفن، وزعم أن مضيق جونس ومضيق لنكستر عبارة عن خليجين ليس إلا. ولكنهما كانا أساس الاستكشافات الحديثة المهمة في المحيط المتجمد الشمالي.

ولقد أضحت هذه السفرات السالفة إلى كشف خليج هدسن وسواحله والجزائر التي به، ووسع هذا الاستكشاف نطاق معلوماتنا الجغرافية ومهد السبيل لاستكشافات حديثة وبسببه تأسست شركة عظيمة تدعى شركة خليج هدسن التي لا تزال إلى الآن قائمة وذات تجارة رابحة في القراء.

الفصل السابع عشر

جلبرت ورالي Gilbert and Raleigh

كان لسفرت هوكنز وجلبرت إلى شواطئ خليج مكسكو الفضل في إثارة اهتمام الانجليز بالأرض الواقعة بين مستعمرات الأسبان وجزيرة

نيوفونلند ، وفكروا في احتلال هذا الجزء من أمريكا (هو الآن الولايات المتحدة) وبخاصة ان سفرات كابت جعلت لهم بعض الحق في الاستيلاء على هذا الأقليم .

وفي سنة ١٥٨٢ قام جابرت بسياحة استغرقت سبعة أسابيع ووصل إلى ساحل نيوفونلند ، ولكن التجار الذين كانوا يشتغلون بصيد السمك هناك منعه وصحبه من دخول الميناء ، بيد أنه عند ما أبرز لهم الأوامر الرسمية التي حولته القيام برحلته أذ نواللسفن بدخول الميناء وأمدوهم بالشيء الكثير من مقومات الحياة . واقد استولى جابرت على ميناء سنت جون ومائتي فرسخ حولها بأسم مملكة إنجلترا واقد وجد عند فحصه أرض الجزيرة أمها غنية بالفاكهة والسكلاً وأن جوها دفيء لطيف في الصيف وبارد في الشتاء .

وبعد مدة وجيزة عزم جابرت على الرحيل نحو الجنوب ، ولكن البحارة ثاروا عليه وعلى أوامره لأنه منعهم من أن يسيروا سيرة لصوص البحر ، ومن سوء سلوكهم أنهم حاولوا خيائته . فأرسل إحدى سفنه إلى إنجلترا وعليها المرضى وأقل البحارة شجاعة ، وسار هو بثلاث سفن ففرقت إحداها وكان بها الثونة كما غرق معظم بحارته . فاضطر مرغماً على العودة إلى بلاده مصمماً على العودة إلى هذه البلاد في العام التالي . وبعد أن مر على جزائر ازورز عصفت الأمواج بسفينته وغرقت بكل ما فيها ومن فيها وذهبت روحه ضحية شجاعته .

سيرولتر رالى

لقد ساعد رالى جليبرت في رحلته السالفة الذكر ، وساعد أيضا على مد بعثات أخرى بالمال للذهاب إلى الشاطئ (الذى يسمى الآن كرولينا الشمالية) وسميت هذه المستعمرة فرجنيا (العذراء) تشريفا الملكة اليزابث . وكانت نتيجة هذه السفرات إلى فرجنيا إدخال زراعة الدخان والبطاطس في إنجلترا .

وكان أهم رحلات رالى تلك التى سافر من أجلها للبحث عن مدينة لدرادو الخيالية التى كان يعتقد وجودها في جيانه بأمرىكا الجنوبية . وكان يظن أن بها الكثير من الذهب ، وهى في حوض نهر أرنوكو ، وأن عاهلها يقطن في قعر من الذهب بالقرب من بحيرة عظيمة ، فأقلع في سنة ١٥٩٥ ومعه خمس سفن ووصل إلى ترينيداد ثم ترك سفنه ونزل معه مائة من رجاله في قوارب ليجوبوا نهر أرنوكو . . . وقد أرهقته ورجاله شدة الأمطار وسرعة تيار النهر فاشتد سخطهم وهددوه بالعصيان ولكنه شجعهم حتى وصلوا إلى أكبر فروع دلتا النهر فوجدوا الأسماك والفواكه الكثيرة والطيور المختلفة ذوات الألوان البهيجة . ولقد هاجموا الكثير من المدن الهندية واعتصبوا ما وجدوه من المثونه وعثروا على قبر في إحدى محلات بعض الهنود فتشجعوا على المثابة حتى وصلوا إلى جبال جيانه ثم استمر رالى حتى وصل إلى سهل لانوس Lanos أكثر أراضى أمرىكا الجنوبية خصبا ونماء .

و بعد أن جمع رالى نماذج من الصخور التى ظهرت بها حبيبات الذهب ، و بعض الأحجار التى كانت تظهر كالماس تأهب للعودة فوصل إلى ترينيداد بعد أن أجهده عواصف الرعد والريح ورجع إلى إنجلترا فى آخر السنة .

واقدرغب فى القيام برحلة أخرى ولكن عند جلوس جيمس الأول فى سنة ١٦٠٣ على عرش إنجلترا أثار سخط الملك عليه فسجن ثم أفرج عنه فى سنة ١٦١٧ على أن يقوم بحملة تذهب إلى جيانه للبحث عن الذهب والفضة . ولكنه لم يستطع تنفيذ أوامر ملكه بدون أن يشب بينه وبين الأسباب نزاع كان من نتيجته غضب الملك عليه واعدامه إرضاء للملك الأسبان .

وتملك إنجلترا الآن إقليما عظيما بالقرب من الأقليم الذى ارتاده رالى ، وهناك أمارات كثيرة تدل على أن وجود الذهب والماس الذى تكلم عنه رالى لم يكن مجرد خيال .

افصل الثامن عشر

المستكشفون الفرنسيون فى كندا : فيرازانو (Verrazano)

و كارتير (Cartier) وشمبليين (Champlain)

بعد سنوات لم تكن كثيرة أخذ عدد كبير من البحارة يسافرون شمال فرنسا الغربى وبخاصة من بريتانى إلى شواطئ نيوفاوندلاند للاشتراك فى صيد

السماك من هذا الاقليم وظهر اهتمام الفرنسيين بالدنيا الجديدة عند ما تقدم
فيرازنو الفلورنسى عام ١٥٢٤ بالذهاب بحملة إلى شاطئ أمريكا الشمالية
ليحصل لفرنسا على نصيب في الدنيا الجديدة فاستكشف الساحل الشرقى
من أمريكا من أول فلوريدا حتى استكشافات كابت في نيومونلند وبتلك
أصبح لأمجلترا وأسبانيا والبرتغال الحق في ملكية القارة الأمريكية . وقد
تأكد حق فرنسا برحلة كارتيير الذى سافر عام ١٥٣٤ واستكشف نهر
سانت لورنس وسار فيه حتى موقع مدينة منتريال الحالى وبذا وضع أساس
مستعمرة « فرانس الجديدة » . ولقد قام برحلات كثيرة بعد ذلك وكان
آخرها في سنة ١٥٤١ ولقد وصل إلى كوبك وبنى قلعة هناك .



(الفرنسيون في كندا)

ولكن الفضل العظيم في نجاح استعمار الفرنسيين لكندا كان يرجع إلى شمبلين واقد سافر وهو حديث السن إلى جزائر الهند الغربية والمكسيك وأشار على ملك فرنسا بأن يحفر قناة في برزخ فيها :

ولقد سافر شمبلين عام ١٦٠٣ إلى كندا فاستكشف بعض البحيرات المغلقة وبسط نفوذ فرنسا على كندا وأسس مدينة كوبك سنة ١٦٠٨ ، وهو أول حاكم فرنسي لكندا واستكشف عام ١٦٠٩ بحيرة شمبلين وأحب تجارة القراء الرائجة السوق .

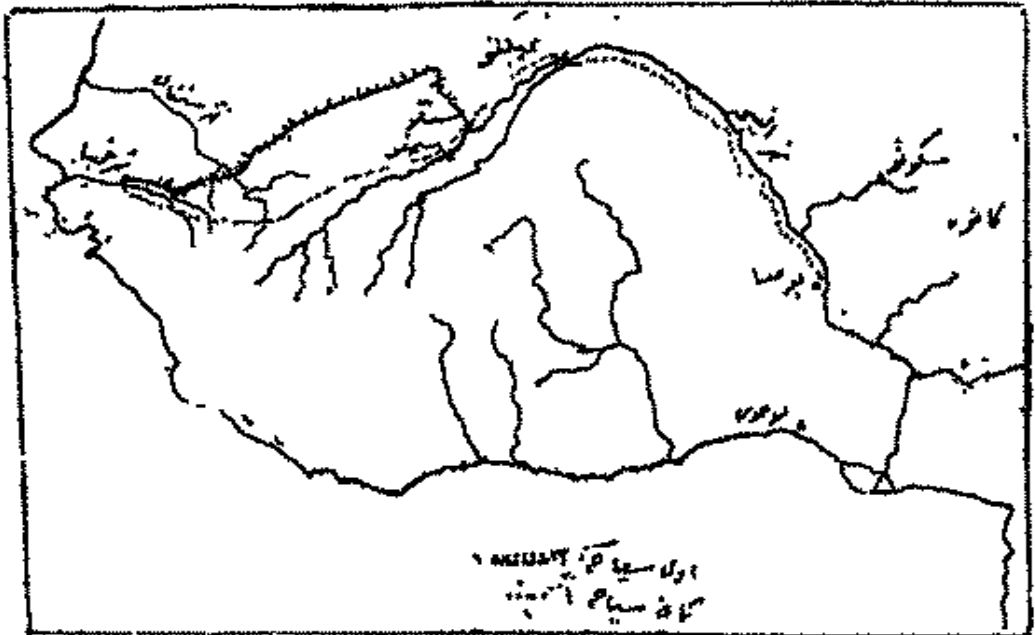
واستمر الفرنسيون في استكشافاتهم في البقاع الداخلة فاستكشف مَرِّكْت مِهْر مَسَّيِّي عام ١٦٧٣ وسافر فيه حتى ملتقاه مع أركنساس . واستكشف رورت دي لاسال نهري أهاريو وأنفوي وسار في نهر مسسي حتى مصبه بين سنتي ١٦٨٠—١٦٨٢ وأطلق على الاقليم جميعه لويزيانا وتأسست مدينة نيوارلياناس عام ١٧١٦ وبذلك امتد النفوذ الفرنسي من كويك إلى مصب مسسي (شكل ١٢)

الفصل التاسع عشر

كشف نهر النيجر — منجوي بآرك

لقد كشفت سواحل افريقية وعرف تخطيطها عند نهاية القرن الخامس عشر ، ولكن ظل داخلها مجهولا كثيرا قبل ذلك العهد لذلك أسست

بلندن عام ١٧٨٨ الجمعية الافريقية وكان غرضها كشف ما غمض من افريقية ، وابرز ما خفي منها وذلك بارسال الكاشفين إلى أواسطها ، وكانت أول جمعية تشكلت ثم انضمت في عام ١٨٣١ إلى الجمعية الجغرافية الملكية التي بعثت أناسا كثيرين لهذا الغرض ، ومن أشهر هؤلاء الدكتور منجو بارك الذي أرسل لاستكشاف نهر النيجر واقد حاول كشف منبع هذا النهر عن طريق نهر غمبيا فقادر الساحل سنة ١٧٩٥ سائر نحو أعالي نهر غمبيا ومنه إلى نهر النيجر عند بلده سيغو ومن ثم اقتفى أثر النهر إلى سيلا ثم مرض عقب ذلك وعجز عن الوصول إلى تمبكتو ولكنه كشف الأقاليم



سياحات منجو بارك

الواقعة في وسط النهر وعين حدود الصحراء الكبرى الجنوبية ثم عاد

سنة ١٧٩٥ . وفي عام ١٧٩٧ قام بسياحة أخرى إلى هذه الجهة نفسها للفرض عينه فقاد الشاطئء بالقرب من رأس فيرد ثم سار في نهر غمبيا ومنه إلى نهر النيجر عند سيلا وهي منتهى سفراته الأولى ومنها إلى تمبكتو وجال في بلاد حوصة ولكن قضى. نجبه في الجنادل التي عند بوصا وذلك عند ما أوشك أن ينجز عمله وهو اقتفاء أثر النهر حتى مصبه .

وسافر من القاهرة عام ١٨٦٩ فردريك هورنمان الألماني المستخدم بالجمعية الأفريقية قاصداً نهر النيجر وقد اتخذ طريقاً عجيباً إذ سافر من القاهرة إلى مرزوق (بطرابلس) مجتازاً الصحراء اللوية ثم ارتاد الأقاليم الواقعة جنوبي طرابلس وبخاصة بلاد برنيو الواقعة في الجنوب الغربي من بحيرة شاد ثم سار إلى أن أغتالته المنون بأقليم غربي نهر النيجر بالقرب من بوصا .

وسار الدكتور أودنى والقائد هيو كلاپرتن والضابط دنهام عام ١٨٢٢ من طرابلس إلى مرزوق وفي العام التالي كشفوا بحيرة شاد ثم مات أودنى في برنو ، وبمد ذلك كشف دنهام نهر شيري ، وساح كلاپرتن في بلاد حوصا شمالي نهر النيجر ثم رجع الإثنان بعد ذلك إلى طرابلس . وهذه السياحات تعد من أعظم السياحات الناجحة نجاحاً تاماً في وسط أفريقية

وسافر كلاپرتن مرة أخرى عام ١٨٢٥ من لاجوس وبعد أن عبر نهر النيجر وصل إلى سكوتو ثم مات عند زنجيروا الواقعة في الشمال الغربي من ريبا .

وسافر الضابط لانج عام ١٨٢٥ من سيراليون وعثر على منبع نهر

النيجر و بعد ذلك سافر في الصحراء الكبرى إلى غات في الجنوب الغربي من فزان ومنها إلى نمبكتو و بعد ذلك قتلته قبيلة التوارك عند أوبته .
وفي عام ١٨٢٢ أرسلت الحكومة البريطانية الأخان رتشارد وجون لندرليثما استكشاف نهر النيجر وقد نجحا في تتبع مجرى النهر من بوسا (التي مات عندها منجو يارك) إلى بوسا عند مصبه وأثبتنا أن له عدة فروع تصب في خليج بنين ، كما أثبتنا (بخلاف ما كان معتقداً إذ ذاك) أنه نهر منفصل عن نهر الكنمو ، وتمكنا من تسيير البواخر في نهر النيجر الأدنى ومهدنا سبيلاً للتجارة بين الأقاليم الداخلة .

الفصل العشرون

(١) كشف النيل الأزرق — بر وس Bruce

إن المصريين الأول الذين عاشوا على ضفاف النيل وكانوا على جانب عظيم من الحضارة لم تكن لهم معرفة تامة على ما يظهر بمجرى هذا النهر الذي اعتمدوا عليه اعتماداً كبيراً . ومن المحتمل أن يكونوا قد عرفوا المجرى الأصلي للنهر حتى الموقع الحالي لمدينة الخرطوم ، كما عرفوا أيضاً مجرى النيل الأزرق . وذلك لصعوبة السير في تلك الأيام في النيل الأبيض جنوبي موقع الخرطوم .

على أن اليونانيين اهتموا اهتماماً عظيماً بمجرى النهر فلقد ساح مؤرخهم

هيرودوت في أعالي النهر وجمع بعض المعلومات عنه غير أنها لم تكن دقيقة
ولقد رسم بطليموس وكان سائحاً مؤرخاً سنة ١٥٠ بعد الميلاد خريطة للنيل



كشف النيل

وظلت هذه المرجع الوحيد حتى آخر القرن الخامس عشر إلى أن أدلى
السائحون الآخرون وبخاصة العرب منهم بمعلومات أخرى . وفي مبدأ

القرن السابع عشر زار أحد رهبان الجزويت البرتغالية بلاد الحبشة وكشف
أحدهم منبع النيل الأزرق سنة ١٦١٣ . ولسكن بعثه لم ينشر وظل منبع
النهر غامضا للمالم . وأخيرا في آخر القرن التاسع عشر جاء رجل كشف
ثانياً ما قام به ذلك الراهب ، ذلك هو جيمس بروس . وكان اسكتلنديا
عينه وليم بت Pitt رئيس حكومة انجلترا فنفصلا عاماً لها في الجزائر . فتعلم
اللغة العربية ثم سافر ميمما شطر شرقي البحر الأبيض المتوسط وزار القاهرة
في يولييه سنة ١٧٦٨ . واستأذن حاكمها في سياحة في أعالي النيل حتى
الأقصر ومن ثم سافر إلى أسوان ثم عاد إلى قنا ومنها سافر إلى القصير على
شاطيء البحر الأحمر فوصل إليها في فبراير سنة ١٧٦٩ ثم سار في البحر
جنوبا إلى مصوع ومنها سافر إلى بلاد الحبشة فوصل غندر عاصمة الحبشة
إذ ذلك سنة ١٧٧٠ . وبعد أن أقام بها مدة سار إلى البقعة التي عيتمها غيره
من قبل ووصل إلى البحيرة التي ينبع منها النيل الأزرق .

الفصل الحادي عشر

(٢) النيل الأبيض

برتن Burton واسبيك Speke وجرانت Grant

وبيكر Baker

برتن وإسبيك

لقد أكدت سياحات روس ما كان معلوما عن النيل الأزرق . أما النيل الأبيض فلم يستكشف الا حتى غند كرو وذلك لأن الجنادل بالقرب منها كانت تحول دون السفر في النهر جنوبيا . وقد عاق المستكشفين أيضا عن سيرهم عدوان الأهالي عليهم فمن لرتشارد برتن الضابط بالجيش الهندي أن أقوم طريق يساعده على الوصول الى النيل الأبيض يكون من ساحل افريقية الشرق . فذهب مصحوبا بزميل يدعى جون إسبيك الى بلاد الصومال ليقتنا على حقيقة البحيرات العظيمة التي قال عنها المبشرون الذين أقامو بمبسا غير أنهم لم يتمكنوا من التجول في البلاد لاعتداء الأهالي عليهما ، وقد أمدتهما الجمعية الجغرافية الملكية بأموال ليسافرا مرة أخرى مسافرا في حملة أكبر عدداً من الأولى وغادرا زنجبار سنة ١٨٥٧ وسارا غربا حيث كشفا بحيرة ننجانيقا . وعند أوبتهما كاف برتن زميله أن يستكشف بحيرة واقعة

في الشمال الشرقي من هذه البحيرة فكشف بحيرة فكتوريا التي ظن أنها منبع النيل الأبيض .

إسبيك وجرانت

سافر إسبيك وجرانت من زنجبار عام ١٨٦٠ ليستزيذا من معلوماتهما عن البحيرات الكبيرة فوصلا إلى الساحل الشرقي من بحيرة فكتوريا وكشفا نيل سمست الذي يخرج من هذه البحيرة ثم سارا مقتفين أثره حتى غندكرو وهناك قابلا السير صمويل بيكر وزوجته (اللذين كانا سافرا في النيل من القاهرة) وأخبراه بوجود بحيرة أخرى سمعا عنها من بعض الناس ، ثم تتبعوا النيل إلى مدينة انخرطوم ومنها وصلا إلى القاهرة بعد أن حلا تلك المسألة العويصة وهي استكشاف منابع النيل .

السير صمويل بيكر

كشف السير صمويل بيكر وزوجته هذه البحيرة التي سمعا عنها وذلك في عام ١٨٦٥ وسمياها بحيرة ألبرت وفي عام ١٨٦٩ قاد هذا المستكشف حملة حربية ومن معه ليستكشف النيل الأعلى ويمنع تجارة الرقيق واينشى* مراكز حربية مصرية ثم آب عام ١٨٧٣ بعد أن أستولى على هذه البلاد الممتدة إلى خط الاستواء وجعلها تحت سلطان مصر . وبعد أن احتل السودان مرة أخرى صارت معرفتنا بالنيل الأعلى ونهرياته تامة ثم قطع السد الذي يعترض مجرى النيل واصبحت السفن الآن تسير من انخرطوم إلى غندكرو في مواقيت معلومة .

الفصل الثاني والعشرون

دافيد ليفنجستون David Livingstone

ليس هناك رجل من بين المستكشفين المشهورين في العالم أعظم من ليفنجستون وذلك للعمل الجليل الذي قام به في هذا الصدد من جهة ، وإخلاصه وتنفيذ ما قصد إليه من جهة أخرى . وهو اسكتلندي ولد عام ١٨١٣ وكان في مبدأ حياته عاملا في مصنع لنسج القطن حيث كسب من المال ما ساعده على أن يتلقى دراسة طبية في جامعة جلاسجو . ثم عين طبيبا مبشرا في الصين ، ولكن الحرب نشبت مع أهل هذه البلاد فراض نفسه على السفر إلى جنوب أفريقيا سنة ١٨٤٠ . ونزل في خليج ألجوا . وساح نحو ٧٠ ميل في مركبة تجرها الثيران حتى وصل كورمان في بقشوانالاند . ولقد علم من سكان هذه الجهة خبر وجود أنهار وغابات وبحيرة عظيمة خلف صحراء كلهاري فأخذ يدرس شيئا عن عادات أهلها وأرائهم وقوانينهم . ولقبتهم ثم شرع عام ١٨٤٩ في القيام بعدة سفرات وسط أفريقيا جعلته أعظم المستكشفين لهذه القارة .

فنادر كلوين الواقعة بالقرب من منبع نهر لمپوي في أول يونية من تلك السنة وذلك ليستكشف بحيرة نجامي (الزرافة) التي كانت قبلة المستكشفين زمنا طويلا فسار حول تخوم صحراء كلهاري الشرقية ثم ساح في بعض أجزاء تلك البحيرة التي هي قطب دائرة الأنهار في جنوب أفريقيا وبعد ذلك عاد إلى كلوين .

وفي عام ١٨٥٠ غادر مقره وذهب شمالاً فرأى نهر زمبيزي . وبعد أن أرسل زوجته وأولاده إلى إنجلترا عزم على استكشاف نهر زمبيزي ليجد طريقاً أقرب إلى بشوانا الشمالية بدلاً من الطريق الممل الذي يشق وسط صحراء كالهاوي مبتدئاً من كيتون أو خليج ألجوا . فسافر في عام ١٨٥٣ في نهر زمبيزي ثم وصل إلى شنتي عام ١٨٥٤ ومن ثم سافر شمالاً بجوار نهر ليا وكشف بحيرة ديولولو التي ظن الناس زمناً طويلاً أن نهر الكنغو يتغذى منها ، ولكن ظهر الآن عدم صحة ذلك وقد استمر في سيره إلى كساي أحد نهيرات نهر الكنغو ، ثم اجتاز خط تقسيم المياه المحصور بين حوضي نهر زمبيزي ونهر الكنغو وهو سهل مرتفع تتخلله عدة مستنقعات وبعد أن عبر كساي غرباً في غابة الكنغو وصل إلى نهر كوانجو الذي كان الحد الشرقي لأفريقية الغربية البرتغالية ثم وصل إلى مستعمرة كسانجي في أنجولا وهي مستعمرة تجارية برتغالية . وبعد أن مر بمنظر جميلة في طريقه وصل إلى سنت بول دي لواندا في ٣١ مايو عام ١٨٥٤ . وبعد أن أقام بلواندا مدة أربعة أشهر تقريباً عاد قاصداً أن يقفوا أثر نهر زمبيزي ليعرف مقدار فائدته كطريق مستقيم لداخل أفريقية فكشف فرعاً من فروع الزمبيزي (كانو ولوانجو) ثم الشلالات التي أسماها شلالات فكتوريا ثم سار إلى زمبو وهي مستعمرة برتغالية قديمة ومن ثم وصل تته وهي أم المستعمرات البرتغالية وسار مع النهر حتى كايماي الواقعة عند مصبه .

وعند أوبته إلى إنجلترا عين قنصلاً في ليماي لساحل أفريقية الشرق جنوب زنجبار كما عين قائد البعثة لاستكشاف أفريقية الشرقية والوسطى .

وفي سنة ١٨٥٥ سار في مصب نهر زمبيزي حتى تته . ولما أبلغته الضرورة إلى أن ينتظر باخرة أخرى هناك عزم على كشف نهر شيري والبحيرة العظيمة التي زعم الناس أنه ينبع منها فسار في النهر إلى مسافة ٣٢٠ كيلو متراً ولكنه منعه من السير إلى أبعد من هذا شلالات سماها شلالات مرشيسون . وفي تلك السنة أجهد نفسه مرة أخرى حتى كشف بحيرة نياسا وكشف أثناء مسيره بحيرة شروة جنوب بحيرة نياسا ثم عاد إلى تته .

وفي سنة ١٨٦٠ ابتداء يتجول في الأقاليم الداخلة ثم أعاد النظر في شلالات فكتوريا ومنها رجع إلى تته حيث وصلت باخرة وقتئذ من إنجلترا .

وكانت رغبته شديدة في استكشاف نهر رفوما ليتحقق ما إذا كان هذا النهر صالحاً للملاحة حتى قلب نياسا لند التي لم تكن تحت سلطان البرتغاليين مباشرة غير أن قلة المياه فيه عاكسته عن السير فيه إلا إلى مسافة قصيرة . ثم عاد إلى زمبيزي وسار في نهر شيري واستكشف الساحل الغربي لبحيرة نياسا .

وبعد أن أقام لفنجستون مدة بإنجلترا عاد ثانية إلى زنجبار وسار نحو دوفوما عام ١٨٦٦ وكان غرضه السير فيه جنوب بحيرة تنجانيقا ليعبر الحدود الجنوبية لجويز نهر النيل . فاقضى أثر نهر رفوما حتى وصل إلى نهاية بحيرة نياسا في الجنوب ومن ثم سار نحو الشمال وعبر نهر لوانجو وكشف نهر تشامبيزي وهو عبارة عن الجزء الأعلى من مجرى نهر الكنفو الذي يصب في بحيرة بنجويلا . وفي سنة ١٨٦٧ كشف بحيرة مويرد ثم اخترق بلاد كازمبي

وكشفت بحيرة بنجويلو . وبعد أن سبر نصفها الشمالى سار إلى أوجيجى ثم عبر بحيرة تنجانيقا حتى وصل إلى نهر لولابا وهو جزء من الكنفو ولكن المرض ألجأه إلى العودة إلى أوجيجى .

ولما طالت مدة تغييب لفنجستون بأواسط أفريقية عن العالم المتمددين ابتدأ يذب في قلوبهم القلق عليه فأرسلت بعثة تحت رياسة استانلى للبحث عنه فوجده عند أوجيجى في شهر نوفمبر سنة ١٨٧١ . ثم سار كل من استانلى ولفنجستون معا في سفينة وجالا في شمال بحيرة تنجانيقا ولم يجدا لها منفذا ، ثم أبى لفنجستون أن يرجع مع استانلى ورافقه حتى طابوره حيث اتفقا وأخذ استانلى كل أوراق ومذكرات لفنجستون معه . وقد أصر لفنجستون على رأيه محاولا استكشاف منابع نهر النيل وظن أن لولابا لا بد أن يكون هذا النيل الأعلى . ثم غادر طابوره قاصداً اتمام كشفه بعد أن أخذ اللون والذخائر التي جلبتها له بعثة الجمعية الجغرافية الملكية ؛ ومن ثم مر بجنوب بحيرة تنجانيقا الشرقى حتى وصل إلى نهر كالنجوسى الذى يصب في بحيرة مويرو ، ومن ثم عبر المسبثقات التي في شمال بحيرة بنجويلو ثم عبر نهر تشامبى كذلك وسار حول بحيرة بنجويلو الشرقية حتى وصل إلى تشيمبو جنوب تلك البحيرة حيث حضرته الوفاة في أول مايو سنة ١٨٣٣ فنقل اتباعه جثته وكان ذلك بالقرب من طابوره وأرسلت الجثة إلى انجلترا حيث دفنت في كنيسة وستمنستر سنة ١٨٧٤ ، ولكن أعماله في محاولة تخفيف آلام السكان الوطنيين البؤساء ما زالت خالدة وما زال اسمه حتى اليوم في الانجزاء السحيقة من هذه القارة يذكر باحترام عندهم .

الفصل الثالث والعشرون

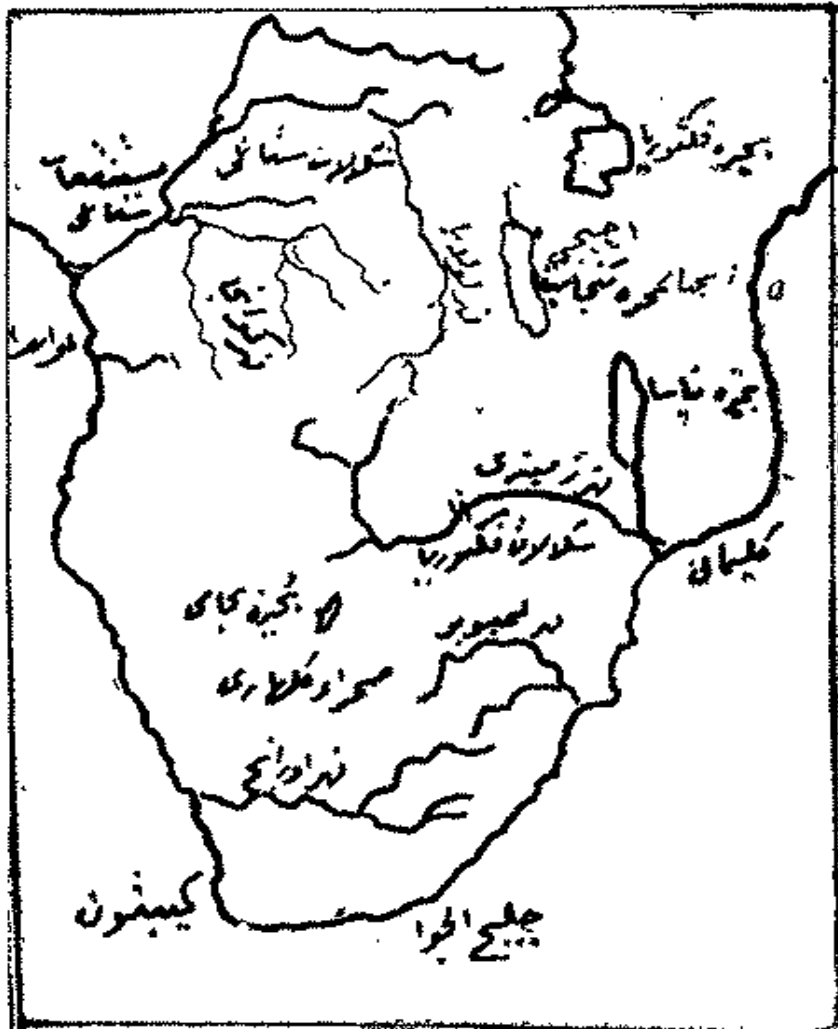
استانلي ونهر الكنفو

كانت نتيجة سياحات استانلي أن كشف حوض نهر الكنفو بأكله وأسس ولاية الكنفو لخرة ثم تداخلت بعد ذلك بعض الدول الأوروبية الأخرى في الشئون الأفريقية .

وصل استانلي زنجبار في سنة ١٨٧١ وغادر بغامويو وبعد ملاقات كثير من المشاق من الصعاب الناشئة بين العرب والوطنيين من الأحقاد وجد لفنجستون عند أوجيجي ثم سارا وأثبت أنه لا علاقة بين نهر النيل وبحيرة تنجانيقا بل أن كلامهما بمفرد عن الآخر ثم رجع استانلي إلى بغامويو كما سبق ذكره .

ولما وفق استانلي للعثور على تفنجستون ذاع صيته وازدادت شهرته ولما سمع لفنجستون بوفاة استانلي عزم على اتمام عمل صديقه فصار من بغامويو سنة ١٨٧٤ وطاف حول بحيرة فكتوريا وسبرها ورسمها رسماً تخطيطياً يقرب من شكلها الحقيقي المرسوم على الخرائط الحالية ثم كشف بحيرة اليرت إدوار وزاد العالم علماً عن نهر كاجيرا أو نيل الكسندرا . ثم طاف حول بحيرة تنجانيقا ودقق النظر في منفذها وهو نهر لكوجه حتى وصل إلى نهر لولا با عند نيانجوي وهي أبعد نقطة وصل إليها لفنجستون ثم اقتفى أثر مجراه كله حتى بلغ أبعد نقطة على هذا النهر وبعد مضي ألف يوم

من مغادرة الساحل الشرقى دخل بلده بنانا على الساحل الأطلسى . وكان
إذ ذلك قد اقتفى أثر نهر الكنفو حتى البحر وبرهن على أن تشامبىزى
ولوباولا ، ولولا باليست الأجزاء من نهر الكنفو .



(رحلات لفنجستون وستانلى فى نهر الكنفو)

وكانت نتيجة جميع هذه المشاق الهائلة والمهم التى صرفت فى سبيل
علم تقويم البلدان إن ازدادت معارفنا الجغرافية عن أحوال أفريقيا .

وادخلت جميع الأراضي التي كشفها الانجليز تحت النفوذ البريطاني وكانت نتيجة ذلك بسط الحماية على أفريقية الشرقية وأوغندا . لذلك كانت مآثر المستكشفين البريطانيين عظيمة جداً . كيف لا وقد تغلبوا على قوى الطبيعة وقهروها بما بذلوه من المساعي ، ومن تلك المآثر مد الخطوط الحديدية ما بين بمبسا وأوغندا ومن لاجوس إلى كانو ومن كيبتون إلى الغابات الكثيفة بليبيريا .

هذا وأن الاعتناء بدرس الأمراض المنتشرة هناك واستنباط أدويتها لا يزال مستمراً إلى الآن كما أن الاعتناء بقوانين الصحة لطف من قساوة اللناخ وفساده وما ينجم عنه من النتائج السيئة .

ولقد لفت استانلي أنظار العالم التجارى بما أذاعه عن أنهار افريقية العظيمة الصالحة للملاحة التي تساعد على الوصول إلى داخل القارة وعن ثروة البلاد التي جلبها في سياحاته الافريقية .

فبعث ملك بلجيكا رساله لمقابلة استانلي ثم اتفق معه على إرسال بعثة إلى افريقية لم يكن الغرض منها توسيع نطاق العلوم فحسب بل توسيع دائرة التجارة أيضاً وترقية أحوال الوطنيين الافريقيين . وكان استانلي من أوائل من أدرك ما سيكون لحوض نهر الكنفو من الأهمية في المستقبل . فوصل استانلي نهر الكنفو عام ١٨٧٩ ولكنه وجد أن الفرنسيين قد احتلوا الجزء الواقع حول مصبه ، فهدد طريقا من نهر الكنفو الأعلى وأبرم معاهدات شتى مع كثير من رؤساء القبائل وأسس أربعين محطة على نهر الكنفو

ونهراته حتى شلالات استانلى ، وقصارى الأمر أنه وضع أساس ولاية الكنفو الحرة وأقام هناك حتى سنة ١٨٨٤ .

وفي مؤتمر برلين الذى انعقد فيما بين سنتى ١٨٨٤ ، ١٨٨١ أشهر استقلال ولاية الكنفو الحرة وجعل ليو بلد ملك البلجيك ملكا عليها . ولما نقضت شروط معاهدة برلين المذكورة تولت الحكومة البلجيكية إدارة شئون الكنفو بنفسها وسارت الكنفو مستعمرة بلجيكية .

وكانت آخر بعثة سار فيها استانلى إلى افريقية هي البعثة التى ذهبت لتجدة أمين باشا الحاكم المصرى للولايات الاستوائية وكانت ثورة الدراويش بالسودان قد قطعت الملائق والمواصلات بينه وبين مصر .

فصعد استانلى نهر الكنفو سنة ١٨٨٧ مستصحبا معه قوة من الجنود السودانية ثم اخترق غابة الكنفو العظمى فصادف أقواما صفار الجسم يعرفون بالأفزام الى أن التقى بأمين باشا عند سواحل بحر البرت فراد نهر سملىكى وكشف جبال رونزورى ثم سار حتى وصل إلى بنغامويو على الساحل الشرقى مستصحبا أمين معه . ولا يخفى ما لهذه البعثة من الأهمية العظمى والنتائج الكبرى فى كشف افريقية وإدخال الحضارة إليها .

الفصل الرابع والعشرون

كشف سواحل استراليا تورز Torres وطلمسن Tasman

ودمبير Dampier

مما يعجب له أن القارة العظيمة الجنوبية كان يعتقد بوجودها مدة قرون عدة قبل أن تكشف : ففي القرون الوسطى كان الاعتقاد السائد أنه لا بد من وجود جزء من الدنيا في الجنوب ليكون متزنا مع الجزء الشمالى ، وفي الخرائط الكثيرة التي رسمت في هذه الأيام كان من المعتاد بمد كشف امريكا الجنوبية أن ترسم القارة الجنوبية كأنها امتداد لهذه القارة في جنوب افريقية ومخترة المحيط الهادى الجنوبى ولكن رحلة مجلان برهنت أن امريكا الجنوبية تنتهى عند مضيق مجلان وقد ثبت فيما بعد وجود قارة جنوية Terra Australis ، أو الأرض الجنوبية .

ولقد علمنا فيما سبق كيف أن السامحين البرتغاليين والأسبان سافروا في المحيط الهادى وكيف كان غرض البرتغاليين ترقية تجارة التوابل مع جزائر الهند الشرقية ، أما الأسبان فكان جل همهم كشف أراضى جديدة ولذا سافر كثير من بحارتهم في القرن السادس عشر من غرب امريكا الى المحيط الهادى الجنوبى وكانت نتيجة ذلك كشف عدة جزائر منها جزائر ماركويزا ونيوهبريده التي وصفت بأها جزء من القارة الجنوبية ومن هؤلاء دى كويروس De Quiros وتورز Torres ففي سنة ١٦٠٥ سافرا للبحث

عن القارة الجنوبية وبعد أن مرا بجزائر نيوهبريذة سميا أكبر جزرها « استراليا الروح المقدسة » وبذا استعملت كلمة استراليا لأول مرة ثم غادر دي كويروس زميله وعاد إلى مكسكو . أما تونز فأبحر غربا وعبر المضيق المسمى باسمه والذي يفصل بين غانة الجديدة واستراليا ولكن الأسبان أبقوا الأمر سرا حتى سنة ١٧٩٦ .

وفي أثناء ذلك طرد الهولنديون البرتغاليين من جزائر التوابل وجزائر الهند الشرقية الأخرى ثم أخذوا يبحثون عن القارة الجنوبية . و بين سنة ١٦٠٦ و ١٦٣٠ رست سفن هولندية على السواحل الشمالية والجنوبية والغربية من هذه القارة كما يستدل على ذلك من الأسماء الهولندية التي ما زالت باقية بها مثل رأس ليون وخليج كرتناريا .

وكان أكبر الكاشفين الهولنديين أبل طمسن فلقد ارسل في سنة ١٩٤٠ من بتافيا في جاوه الى القارة الجنوبية فأبحر عبر المحيط الهندي إلى جزائر موريشس ثم قفل راجعا صوب الجنوب فلم يصل إلى استراليا ولكنه وصل إلى جزيرة طسمانيا ومنها سافر إلى الشرق حتى وصل إلى الجزيرة الجنوبية من نيوزيلند ومن ثم عاد إلى بتافيا . وفي سنة ١٦١٤ سافر طمسن مرة ثانية ولكنه لم يكشف غير الشاطئ الشمالي ، ولم يتسن له عبر مضيق ترز إلى الشرق وبذلك انتهى كشف الهولنديين بين لاستراليا . ووقفت جميع أعمال الكشف مدة طويلة ولم يستطع أحد كشف ما غمض من هذه القارة حتى أخذ أحد لصوص البحر المدعو دمبير Dampier الأمر على عاتقه : ففي النصف الأخير من القرن السابع عشر هاجم البحارة الإنجليز

شواطئ أمريكا الأسبانية وبخاطبة الشواطئ الغربية وقد اشترك دميير في هذه الحملات . وكان أهم رحلاته إلى الشاطئ الغربي لاستراليا عام ١٦٨٨ ، ولم يقتنع بكشف الشاطئ بل جعله يستكشف الأراضي الداخلة ، وكتب وصفا عن السكان والغلات . ولقد عاد إلى أمحلته ونشر وصفه فأثار بذلك همّة أهلها فأعدت له سفينة أخرى وكلف السفر مرة ثانية فكان حول جنوب افريقية ومنها إلى خليج شارك في الشاطئ الغربي لاستراليا ، وبعد أن ساح آلاف الأميال ووجد الأرض جرداء رجع إلى جزيرة تيمور (بالهند الشرقية) للحصول على المثونة في ثم سار حول الشاطئ الشمالي من غانة الجديدة فأحصا الساحل فحصى جيدا ثم عاد إلى بتافيا . ولتدخل الأنجليز من ذلك عدة سنوات لا يشتركون في أمور الكشف في البحار الجنوبية .

وقد اتخذ الخطوة التالية لكشف الغامض من إستراليا الكابتن كوك المشهور الذي سنتناول سفراته فيما يلي :

الفصل الخامس والعشرون

الكابتن كوك (Captain Cook)

كان الغرض من الاستكشافات قبل القرن الثامن عشر زيادة الثروة ورواج التجارة فصار ذلك الغرض في القرن الثامن عشر حب البحث وراء الحقائق العلمية .

وفي أوائل القرن الثامن عشر كان أغلب بقاع الدنيا وسواحلها معروفا بالإجمال لجميع الناس تقريباً ولم يبق إلا السعى وراء ثلاثة أمور :

- (أ) استكشاف سواحل آسيا الشمالية الشرقية .
- (ب) استكشاف سواحل أمريكا الشمالية الغربية .
- (ج) إثبات وجود القارة التي قال بها بطليموس أو عدم وجودها وقد أتم الكابتن كوك أمرين من هذه الثلاثة :

السفرة الأولى

غادر الكابتن كوك نهر التمز عام ١٧٦٨ بقصد الذهاب إلى نصف الكرة الجنوبي ليدون ملاحظاته على مرور الزهرة أمام قرص الشمس وكان ينتظر وقوع ذلك عام ١٧٦٩ ويمكن مشاهدته في نصف الكرة المذكور فر بمديره وريوده زهناريووسار حول رأس هرن نم وصل إلى جزائر سوسيتي .

وبعد أن رصد مروز الزهرة استكشف عدة جزر أطلق عليها جزائر

سنوسيتي ثم سار نحو الجنوبي واستكشف نيوزيلند وبرهن أنها ليست جزء من قارة جنوبية واستولى عليها باسم جورج الثالث ملك الانجليز .
وسمى المضيق بين الجزيرتين الشمالية والجنوبية مضيق كوك ثم سار نحو الغرب ورسا على امتراليا ونزل بقعة خصبة تسمى خليج بوتني ومن ثم استكشف جميع الساحل الشرقي واستولى عليه وسماه نيوزسوث ويلز ثم قصد غانة الجديدة مخترقا مضيق تورز ثم وصل إلى بتانيا فرأس عشم الخير ومنها إلى انجلترا سنة ١٧٧١ وبذا أتم سفرته الأولى حول الدنيا وتمحق من أن نيوزيلند واستراليا ليستا جزءاً من أية قارة جنوبية .

السفرة الثانية

كان غرضه من هذه السفرة المسير حول الدنيا في الأقاليم الجنوبية الواقعة في أقصى خطوط العرض وخوض غمار المحيط الهادى والتوغل في بقاعه المختلفة التي لم يطرقتها أحد قبله للتحقق من وجود قارة جنوبية أو من عدم وجودها فقاد انجلترا عام ١٧٧٢ ثم سار متجها نحو الجنوب ولكن الثلوج اعترضته فسار حول تلك الثلوج ثم عاد إلى نيوزيلند ثم طاف في المحيط الهادى واستكشف عدة جزائر أهمها هبريدة الجديدة وكلودنيا الجديدة وزمك ثم سار من نيوزيلند صوب الشرق إلى مضيق بجلان ثم سار نحو الجنوب متجنباً الثلوج واستكشف ساحلا مرتفعا سماه ثيول وكانت أقصى أرض في الجنوب استكشفت إذ ذاك . ولقد استكشف المحيط الجنوبي استكشافا دقيقا وجال في جميع بقاعة ما بين ٩° ، ٧١° جنوبا

وقطع ١٢٠٧٥٠ كيلومترا وبرهن على عدم وجود قارة جنوبية ثم عاد الى إنجلترا .

السفرة الثالثة

كان الغرض من هذه السفرة استكشاف السواحل الشمالية الغربية من أمريكا الى أقصى ما وصل اليه دريك شمالا والبحث عن طريق موصل من المحيط الهادى الى المحيط الأطلس وللبت في أمر ارتباط أمريكا وأسيا بالضبط فابتدأ كوك عام ١٧٧٦ وسار إلى بلاد الرأس فكان ديمن اند فيوزيلند ووصل إلى جزائر سوسيتى واستكشف جزائر سندوتش ووصل إلى ساحل أمريكا عند خط عرض $٤٤^{\circ}٣١'$ شمالا واستكشف الساحل واستولى عليه وسمى أقصى رأس في شمال أمريكا الغربى برنس اف ويلز ثم حقق المسافة بين القارتين بالضبط وعبر مضيق برنج ثانياً إلى الشرق ووصل إلى خط عرض $٧٠^{\circ}٤١'$ شمالا ولما اعترضته الثلوج عاد في طريقه إلى جزائر سندوتش حيث قتل عام ١٧٧٩ .

نتائج سفرات كوك

لقد أثبت كوك عدم وجود قارة جنوبية وأوضح كذلك استحالة العبور بطريق شمالى بين المحيط الهادى الأطلسى ، وصحح مواضع من الجزائر التى كانت استكشفت من قبل وعين اتجاهات التيارات وقوتها ومواقيت المد والجزر وأيد قرب آسيا من أمريكا . وأوضح العلاقات التى بين سكان

جزائري المحيط الهادي في العصبية واللثة ، وكذلك بين سكان السكاوسبيريا الشرقية من جهة وسكان جرينلند والأسكيمو من جهة أخرى وأضاف ١٣٠٠ نوع جديد من النبات على الأنواع التي كانت معروفة ، وبين طرقاً مفيدة لحفظ حياة الملاحين وصحتهم أثناء السفرات الطويلة

افضل السائرين والعشرون

تتمة البحث في كشف أستراليا

باس وفلندز (Bass and Flinders) وسترت (Sturt) وستوارت
Stuart وأير Eyre و برك Burke ووز Wills .

كلف ماثيو فلندز عام ١٧٩٨ هو وباس أن يبرهننا قطعياً على أن فان ديمن لند جزيرة وذلك بالسير حولها مقاماً بما كلفنا به ثم سار فلندز سنة ١٨٠١ لاستكشاف سواحل أستراليا استكشافاً دقيقاً فسار شرقاً حول شواطئها من رأس ليون واستكشف الجزائر والفتحات التي أهمها خليجنا سفنسر وسنت فسنت

وكذلك استكشف بورت فلز استكشافاً دقيقاً ووصل إلى بورت جكسن واستكشف كذلك الحاجز المرجاني العظيم وسواحل خليج

كر بنتاريا والجزر التي به وقام بسياحة تامة حول أستراليا واستكشف
واحدها بدقة .

ومن الأبطال الذين ترددوا على أستراليا وجابوا جهاتها وكشفوا سر
ما غمض منها وعرفوا قابليتها للاستعمار « لوسون » وهو أول من اجتاز جبال
بلو عام ١٨١٣ . ومنهم القائد ستيرت (Sturt) وقد تبع مجرى نهري مكواري
و دارلنج عام ١٨٢٨ كما سار في نهري مري حتى بحيرة الكسندرينا .

وكشف أير Eyre عام ١٨٤٠ البحيرات الملحة الواقعة شمال خليج سبنسر .
ومن أشهرهم أيضا ستوارت (Stuart) وقد حاول مراراً أن يخرق القارة
من الجنوب إلى الشمال إلى أن تم له ذلك عام ١٨٦٢ ومُدد خط تلغرافي عام
١٨٧٢ في الطريق التي سلكها ستوارت . وعبر برك (Burke) وولز
(Wells) القارة من ملبورن إلى خليج كرينتاريا غير أن المنية أدركتهما
في الطريق عند عودتهما .

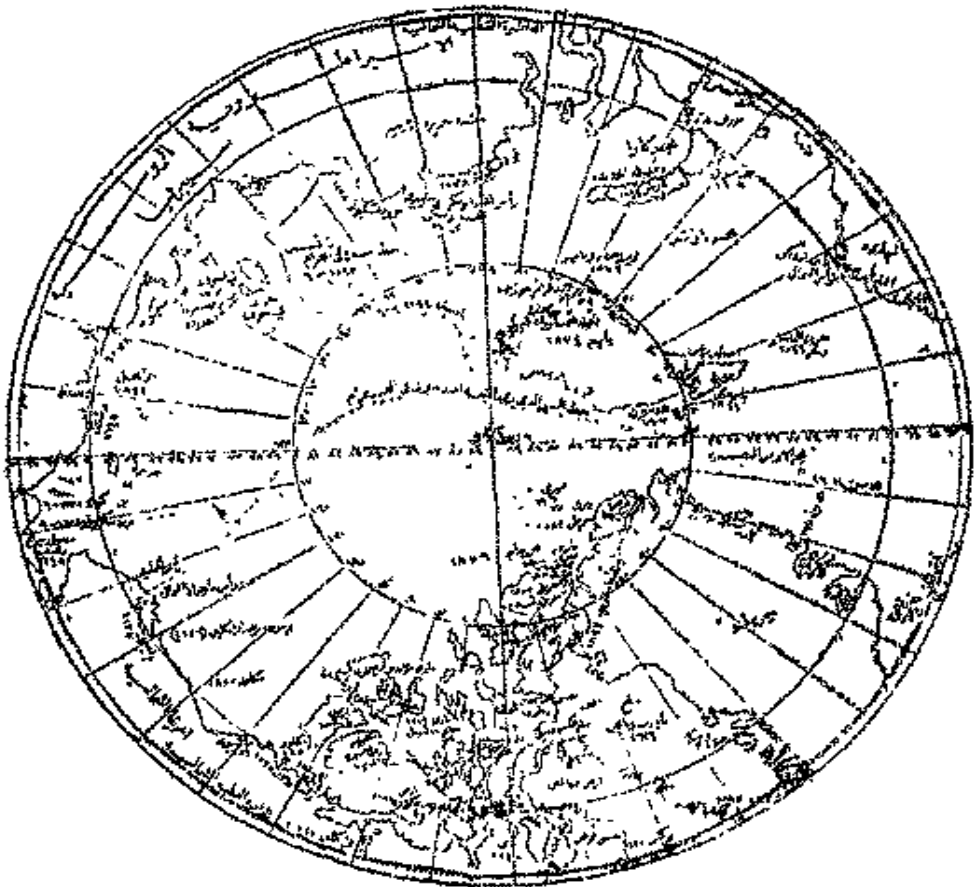
استكشاف الأقاليم القطبية

(١) أقاليم المحيط المتجمد الشمالي

كان استكشاف الأقاليم القطبية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وقد أنقضى البحث عن الطريق الشمالي الغربي إلى كثير من الاستكشافات بالقرب من الدائرة القطبية الشمالية ودعا إلى استكشاف القطب الشمالي . وقد قامت بعثتان عام ١٨١٨ إحداهما تحت قيادة رُس Ross والأخرى تحت رئاسة برى لاستكشاف طريق شمالي غربي والوصول إلى القطب الشمالي فزادت بأبحاثهما المعلومات العلمية التي كانت معروفة من قبل وإن كانا لم يصلا إلى الغرض المقصود . ثم في سنة ١٨٢٠ أرسلت بعثتان أخريان إحداهما في البر تحت رئاسة فرانكلين والأخرى في البحر تحت قيادة برى فاكشف برى الأرخييل المسمى باسمه ووصل إلى خط طول ١١٤ ° غربا فاعترضت سبيله الثلوج في المضيق الواقع شمال بنكس لندوهذه الأرض ولولا هاتان البعثتان لوجد ضالته المنشودة واستكشف طريقا شماليا غربيا . أما فرانكلين فكان قصده استكشاف سواحل أمريكا الشمالية ولم يكن معروفا منها سوى جهتين وهما مصبا مكزي وكبرمين . فسار في نهر كبرمين واستكشف أغلب بقاع الساحل شرق مصبه . ثم أنه سار سنة ١٨٢٥ إلى مصب نهر مكزي وأرسل أحد أتباعه لاستكشاف الساحل بين نهري مكزي وكبرمين .

ورأس السيرجون رُس عام ١٨٢٩ حملة فر بخليج ريجنت من مضيق

انكستر واخترق ابن أخيه جون رُس المضيق المسمى باسمه واستكشف
القطب المغناطيسي الشمالي ومكث السير جون رس خمس سنين بالدائرة
القطبية الشمالية . وسار السير جون فرانكلين عام ١٨٤٥ في حملة أخرى
ولسكنه هلك هو ومن معه وأرسلت أربعون بعثة ما بين سنتي ١٨٤٨
وعام ١٨٥٧ للبحث عنه وقد نجم عن إرسال كثير من الاستكشافات
الجديدة منها اختراق الطريق الشمالي الغربي عام ١٨٥٠ واستكشاف
الأراضي الواقعة في الغرب وسواحل جرينلاند في الشرق .



كشف القطب الشمالي

واستكشفت بمئة نمساوية عام ١٨٧٤ أعظم الأراضي المعروفة ارتفاعاً وهي فرنسيس جوسف لند . وعبر الضابط الأمريكي بيرى عام ١٨٩٢ شمال جزيرة جرينلند عند خط عرض ٣٧° ٨١ شمالاً وتحقق أن جرينلند جزيره ووصل إلى خط عرض ٥٠° ٨٣ شمال جرينلند عام ١٨٩٤ . وإلى خط عرض ١٧° ٨٤ شمالاً عام ١٩٠٢ .

ولما أيقن نيويسين النرويجي أن هناك تياراً مستمراً من الثلوج في المحيط المتجمد الشمالي من ساحل سيبيريا الشمالي الشرقي أشار بصنع سفينة تقاوم ضغط الثلوج وعزم على أن يجعل الثلوج تحمله إلى القطب الشمالي إلى أبعد مسافة يمكن حمله إليها حتى يصل إلى أقرب نقطة من القطب .

ولما وجد أن الثلوج لم تقربه كثيراً من القطب ترك سفينته وسار حقه وصل إلى عرض ١٤° ٨٦ بحيث لم يبق بينه وبين القطب سوى ٤٢٠ كيلو متر ووصل الدوق أبروزي الايطالي ما بين عامي ١٩٠٣ ، ١٩٠٦ إلى خط عرض ٣٣° ٨٦ شمالاً وما بين سنتي ١٩٠٣ ، ١٩٠٦ اهتدى أمونديسن النرويجي الذي وصل إلى القطب الجنوبي فيما بعد إلى طريق شمالى غربى وفي سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ وصل الضابط بيرى إلى خط عرض ٦° ٨٧ شمالاً وفي السادس من إبريل سنة ١٩٠٩ وصل إلى القطب الشمالي .

(١) الأقاليم القطبية الجنوبية

كان السكاپتن كوك أول من اجتاز الدائرة القطبية الجنوبية وذلك في أثناء بحثه عن قارة جنوبية ووصل إلى الدرجة ١٠° ٧١° جنوبا واستنتج مما شاهده أنه لو كانت هناك قارة فلا بد أن تكون حول القطب الجنوبي وعلى ذلك فالوصول إليها عسير لتراكم الثلوج وقد مر في سفره بسوث جورجيا ، وبأرخيبيل جزر سندوتش ، ومع ذلك فتاريخ الاستكشافات القطبية الجنوبية يبتدىء من العصور الحديثة فقط فاستكشف وليم سمث جزر سوث شتلند عام ١٨١٩ واستكشف السكاپتن بادل المشتغل بصيد العجول البحرية جزائر أوركني الجنوبية عام ١٨٢١ وأرسل اسكندر الأول قيصر روسيا عام ١٨١٩ بعثه تحت قيادة بلنحسها وزن لتتيم اعال كوك فوصل إلى سوث جورجيا واستكشف ساحلها الجنوبي ، ثم دخل الدائرة القطبية الجنوبية ووصلت قدمه بعض الأقاليم القطبية الجنوبية التي لم يزرها فأحد قبله فاستكشف أقصى إقليم معروف في الجنوب وهو جزيرة بطرس الأول وأول إقليم معروف داخل الدائرة القطبية الجنوبية ومن ثم استكشف أرض اسكندر الأول فكانت سفرته تكمة لسفرة كوك. وفي عام ١٨٢٢ وصل جيمس ودل بينما كان يبحث عن مصايد عجول البحر إلى مسافة ٣٤٥ كيلومترا أقرب إلى القطب مما وصل إليه كوك فكان خط العرض الذي وصل إليه هو ١٥° ٧٤° جنوبا أي على مسافة ١٥٢٣ كيلومترا من القطب ويعرف البحر الذي هناك ببحر ودل .

وقد اشتغلت بالاستكشافات شركة إندربي واخوته بلندن حتى أنها أرسلت جون بسكو عام ١٨٣٠ وكلفته أن يجمع بين الاستكشافات وعجول البحر فعثر على الأرض التي تسمى الآن إندربي لند واستكشف جزيرة بسكو وجريهم لند . وكانت أهم السفرات إلى الأقطار الجنوبية إلى هذا الوقت سفرة القائد جيمس رُس عام ١٨٤٠ وكان هو أول من اخترق الثلوج ونحرت سفينته في بحر رأس واستكشف فكتوريا لند وهي أول أرض استكشفت مدة حكم الملكة فكتوريا . ثم استكشف كثيرا من الجبال والقمم وسماها بأسماء خاصة بها ومنها بركانا إيريس وترور . ووصل إلى خط عرض $78^{\circ} 9'$ جنوبا أي $3^{\circ} 54'$ أبعد مما وصل إليه ودل واستكشف القطب المغناطيسي الجنوبي . وارسل السير جورج ، نيونز الذي زار فكتوريا لند عام ١٨٩٤ إلى الأقاليم القطبية الجنوبية عام ١٨٩٨ موصل إلى خط عرض $78^{\circ} 50'$ جنوبا وذلك أبعد مما وصل إليه رس وعلى مسافة ١٠٧٩ كيلو مترا من القطب وكان هو ورجاله أول من قضى فصل الشتاء في القارة المتجمدة الجنوبية .

واستكشف الكابتن سكت عام ١٩٠١ أرض ادوارد السابع ووصل إلى خط عرض $82^{\circ} 17'$ جنوبا أي أنه كان على بعد ٧٤٥ كيلومترا من القطب . ثم ظهر له أن فكتوريا لند عبارة عن هضبة منسعة . واستكشفت بعثة ألمانية عام ١٩٠١ أرض كيسرفيهلم الثاني . وأقام الضابط شاكاين العلم البريطاني عام ١٩٠٨ في خط عرض $88^{\circ} 23'$ جنوبا . أي على بعد

١٠٠٠ كيلو متر من القطب الجنوبي . واستكشف شاكلمن سلسلة جبال عظيمة ممتدة في الشمال الشرقي وأربع سلاسل أخرى وصعد على بركان إربس واستكشف فوهاتة وعين موضع القطب المغناطيسى الجنوبي عند خط $72^{\circ} 25'$ جنوبا شرقا وخط طول $155^{\circ} 16'$ واستكشف 72 كيلو مترا من أرض فكتوريا لند ودونها في انطرايط . وسافر الكابتن سكت عام ١٩١٠ قاصدا القطب الجنوبي ، وبعد أن ابتداء بزمن يسير بادر أموندسن النرويجى إلى القطب الجنوبي ليكون له شرف الأسبقية إليه فنجح ووصل إليه في الرابع عشر من شهر ديسمبر عام ١٩١١ وسمى الهضبة باسم ملكه أى هضبة هاكن السابع ، ووصل سكت وأربعة من رجاله إلى القطب الجنوبي في الثامن عشر من ديسمبر عام ١٩١٢ ولكنهم هلكوا في الطريق عند عودتهم .

هذا وأما من جهة التركيب الطبيعى للأقاليم الجنوبية فهى على عكس الأقاليم القطبية الشمالية . وبالأجمال فان القطب الشمالى واقع فى بحر عميق وأما القطب الجنوبى فعلى هضبة عالية ، ولما وصل يبرى إلى القطب الشمالى وجدته بحرا واسعا مترامى الأطراف ، وقد حاول قياس عمقه فذهب المسبار إلى ٩٠٠٠ قدم دون أن يهتدى إلى قاعه ، والحال على عكس ذلك بالضبط فى القطب الجنوبى فهناك قارة شاسعة يتوسطها القطب نفسه وترتفع القارة هناك بانحدار عند ساحل البحر كما هو الحال فى جميع القارات الأخرى .

وهذا الساحل عبارة عن جرف من الثلج والطريق الموصل من ذلك الجرف الثلجى إلى القطب نفسه يتخلله هضبة عالية بها سلاسل جبال

ممتدة إلى مئات من الأميال . ومن أهم الأقطار التي تتهدد المستكشفين هناك الأنهار الثلجية التي كثيرا ما تنزلق نحو البحر فإغرة أفواهاها العظيمة . وبالنسبة لهذه الفوارق في الميزات الطبيعية نجد أن بالقطب الشمالى مجالا شاسعا للحياة في حين أنه لا يوجد بالقطب الجنوبى شيء حتى بعيد عن البحر . فما أجدر بأن يسمى إقليم الفناء وما أحق الآخر بأن يلقب بإقليم الحياة .

ترتيب كنف اقطار العالم



الفهرس

صفحة		
٥	: الدنيا القديعة	الفصل الأول
١٢	: الصور المظلمة والفيكنج	الفصل الثاني
	: الجوابون المسلمون — الرهبان المسيحيون —	الفصل الثالث
١٨	ماركو پولو	
٢٧	: الأمير هنري الملاح	الفصل الرابع
	: فاسكو داجاما ، برثميو دياز — الملاحة حول	الفصل الخامس
٣٢	رأس الرجاء الصالح	
٣٧	: كلبس وكشف الدنيا الجديدة	الفصل السادس
٤٣	: رحلات كلبس التالاية ونسبوتسي ، وكيرال ويلبو	الفصل السابع
٤٨	: آل كابت ومبدأ البحث عن الممر الشمالي الغربي	الفصل الثامن
٥٢	: مجلان وأول سفرة حول الدنيا	الفصل التاسع
٥٨	: كرتيس وكشف مكسكو	الفصل العاشر
٦٣	: بيزارو وغزو بيرو	الفصل الحادي عشر
٦٨	: الطريق الشمالي الشرقى — ولوبى وتشانسلور	الفصل الثاني عشر
٧٢	: جون هوكنز ورحلات دريك	الفصل الثالث عشر
٧٧	: رحلة دريك حول الدنيا	الفصل الرابع عشر
٨١	: مرتن وفرو بشر	الفصل الخامس عشر
٨٤	: الممر الشمالي الشرقى — ديفس وهدسن	الفصل السادس عشر

صفحة	
٨٨	الفصل السابع عشر : جلبرت وراى
٩١	الفصل الثامن عشر : المستكشفون الفرنسيون بكندا
٩٣	الفصل التاسع عشر : كشف نهر النيجر — منجو بارك
٦٩	الفصل العشرون : كشف النيل الأزرق — بروس
	الفصل الحادى والعشرون : كشف النيل الأبيض — برتن — سبيك
٩٩	جرانت — بيكر
١٠١	الفصل الثانى والعشرون : دافيد ثننجستون
١٠٦	الفصل الثالث والعشرون : ستانلى وكشف نهر الكونغو
	الفصل الرابع والعشرون : كشف سواحل استراليا — تورز —
١١٠	طمس — دمبير
١١٣	الفصل الخامس والعشرون : الكابتن كوك
١١٦	الفصل السادس والعشرون : تنمة كشف استراليا
	الفصل السابع والعشرون : استكشاف الأقاليم القطبية